كلمة وكليمة

تأليف

مصطفى صادق الرافعي

(١٢٩٨ ـ ١٣٥٦ هـ = ١٨٨١ ـ ١٩٣٧ م)

بعناية

بسّام عبد الوهّاب الجابي



دار ابن حزم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كلمة وكليمة



الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها



AL-JAFFAN & AL-JABI
Printers - publishers
JAFFAN TRADERS P.O.Box: 4170 Limassol - CYPRUS
Fax: 357 - 5 - 591160 Phone: (05) 583345

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

كلمة وكليمة

هي مقالات نشرت في مجلة «الرسالة»[١] ولم تنشر في كتاب، وهي كلمات جامعة تدور على أغراض مختلفة من الأدب والدين والأخلاق والاجتماع، [راجع «الرسالة» العدد: ٢١٠، ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ هـ = ١٢ يوليو/تموز ١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحات: ١١٣٤ ـ ١١٣٥م، محمد فهمي عبد اللطيف].

والمعلومات الإرجاعية لهذه المقالات هي:

ـ «كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ» (١)؛ «الرسالة» العدد: ٦٥، ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ هـ = ١ أكتوبر/تشرين الأول سنة ١٩٣٤م، السنة الثانية، الصفحات: ١٦٠٥ ـ ١٦٠٦.

ـ «كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ» (٢)؛ «الرسالة» العدد: ٧٦، ١٠ شهر رمضان سنة ١٣٥٣ هـ = ١٧ ديسمبر/كانون الأول سنة ١٩٣٤م، السنة الثانية، الصفحات: ٢٠٤٣ ـ ٢٠٤٥.

---

(١) جُمِعَتِ المقالات التي نشرت في مجلة «الرسالة» فكان «وحي القلم». لكن «كلمة وكليمة» لم يعاد نشرها ضمن «وحي القلم».

- «كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ» (٣)؛ «الرسالة» العدد: ٨٤، ٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٣ هـ = ١١ فبراير/شباط ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

- «كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ» (٤)؛ «الرسالة» العدد: ٩٤، ١٩ محرم سنة ١٣٥٤ هـ = ٢٢ إبريل/نيسان ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ٦٤٣ ـ ٦٤٤.

- «كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ» (٥)؛ «الرسالة» العدد: ١٠٥، ٧ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٥٤ هـ = ٨ يوليو/تموز ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ١٠٨٣ ـ ١٠٨٤.

- «كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ» (٦)؛ «الرسالة» العدد: ١٢٤، ٢١ شعبان سنة ١٣٥٤ هـ = ١٨ نوفمبر/تشرين الآخر ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ١٨٤٣ ـ ١٨٤٤.

- «كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ» (٧)؛ «الرسالة» العدد: ١٣٥، ١٠ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ هـ = ٣ فبراير/شباط ١٩٣٦م، السنة الرابعة، الصفحات: ١٦٣ ـ ١٦٤.

❋ ❋ ❋

هذا الكتاب

جعلتُ «أقوال العظماء في الرافعى» كمقدمةٍ، يتبعها نص ثلاث مقالات للعريان نشرها في «الرسالة» في حياة الرافعي، ثم بعد ذلك ما كتبه أحمد حسن الزيّات في إعلان وفاة الرافعي، ثم كلام للرافعي عن الموت؛ بعد ذلك يأتي نص «كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ»، ثم يكون مسك الختام ما كتبه الأستاذ محمود شاكر عن الرافعي.

وقد أوردتُ تعريفات بالكتّاب، ولا سيما حامل الراية بعد الرافعي الأستاذ محمود أحمد شاكر رحمهم الله جميعاً.

وفي الختام، أرجو الله سبحانه وتعالى أن ييسرنا للخير، ويستعملنا صالحاً، ويرحمنا ويغفر لنا ولوالدينا ولكل من له حق علينا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق في ١٧/ ٤/ ٢٠٠١ م

بسّام عبد الوهّاب الجابي

أقوال العظماء في الرافعي(*)

.. إنَّ النَّاظِمَ لم يَتَجاوَزِ الثَّالثة والعِشْرين من سِنِيِّهِ، ولا رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَدْرَكَ هذه المَنْزِلَةَ في مِثْلِ هذه السِّنِّ سَيكونُ مِنَ الأَفْرَادِ المُجلِّينَ في هَذَا العَصْرِ، ومَنْ سَيُحَلُّونَ جِيدَ البلاغَةِ بقلائِدَ النَّظْمِ والنَّثْر.

إبراهيم اليازَجي

أَسْأَلُ اللّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِلْحَقِّ مِنْ لِسانِكَ سَيْفاً يَمْحَقُ بِهِ الباطِلَ، وَأَنْ يُقِيمَكَ في الأَوَاخِرِ مَقامَ حَسَّانٍ في الأَوائِلِ.

محمد عَبْدُه

سَيَأْتِي يَوْمٌ إِذَا ذُكِرَ فِيهِ الرَّافِعِي قَالَ النَّاسُ: هُوَ الحِكْمَةُ العالِيَةُ مَصُوغَةٌ في أَجْمَلِ قَالَبٍ مِنَ البَيانِ.

مصطفى كامل

في جريدة «اللواء»

(*) نشرت هذه الأقوال في «الرسالة» العدد: ٢٠٣، ١٤ شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٦هـ = ٢٤ مايو/أيار سنة ١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحة: ٨٦٤.

بَيَانٌ كَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنَ التَّنْزِيلِ أَوْ قَبَسٌ مِنَ النُّورِ الحَكِيمِ.

سعد زَغْلول

ثِقْ أَنِّي أُسافِرُ مُطْمَئِناً وَأَنْتَ بَقِيَّتي في مِصْرَ.

عبد المحسن الكاظِمي

وهو مسافر إلى الأندلس

أَرَاكَ وَأَنْتَ نَبْتُ اليَوْمَ تَمْشِي
بِشِعْرِكَ فَوْقَ هَامِ الأَوَّلِينَا
وَأُوتِيتَ النُّبُوَّةَ في المَعَاني
وَمَا جَاوَزْتَ حَدَّ الأَرْبَعِينَا

حافظ إبراهيم

«لَوْ كانَ هَذَا الْكِتَابُ في بَيْتٍ حَرَامٌ إِخْراجُهُ لِلنَّاسِ مِنْهُ، لَكانَ جَدِيراً بِأَنْ يُحَجَّ إِلَيْه»، وَلَوْ عُكِّفَ على غَيْرِ كِتابِ اللّهِ في نَواشِيءِ الأَسْحارِ، لَكَانَ جَدِيراً بِأَنْ يُعْكَفَ عَلَيْهِ».

شكيب أرسلان

لَقَدْ جَعَلْتَ لَنَا شكسبير كما للإِنكليز شكسبير، وَغوته كما للألمان غوتَه، وهوغو كما للفرنسيين هوغو.

احمد زكي باشا

في كتاب «المساكين»

الرافعي

بقلم: تلميذه وصديقه
الأستاذ محمد سعيد العُريان

أبسط وأوسع من كتب عن مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العُرْيان رحمه الله تعالى، فقد نشر بعد سنتين من وفاة الرافعي، أي: سنة ١٩٣٩م، كتاباً مستقلاً سماه «حياة الرافعي»، لكن ما أنشره اليوم هو نص ثلاث مقالات للعريان نشرها في «الرسالة» في حياة الرافعي، أي أن الرافعي قرأها ولم يستنكر منها شيئاً، على الأقل لم يكتب خلافها مع متابعته للنشر في مجلة «الرسالة» ذاتها؛ ولذلك أهميةٌ خاصة، ووجدت أن نشرها مفيد حيث فيه توفيرها للباحثين ببعثها من مرقدها بين صفحات أعداد مجلة «الرسالة». صحيح أن الرافعي توفي وبينه وبين الأستاذ العريان مغاضبة، لكن هذه المغاضبة كانت بعد الطبعة الأولى من «وحي القلم»، أي: بعد فترة من كتابة الأستاذ العريان لمقالاته الثلاث عن حياة الرافعي، [راجع «حياة الرافعي» الصفحة: ١٥] وقبل وفاة الرافعي رحمه الله بأقل من شهرين [راجع «الرسالة» العدد: ٢١١، صفحة ١١٧٥] وبالتالي فإن الرافعي لم يستنكر أيّاً من المعلومات التي وردت فيها، بل هي في حكم المقرّ لها والمجيز لما ورد فيها، ومن هنا فهي أعلى قيمة من غيرها.

والمعلومات الإرجاعية لهذه المقالات الثلاث هي:

ـ الرافعي (١) بقلم تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان؛ «الرسالة» العدد: ١٠٨، ٢٨ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٥٤ هـ = ٢٩ يوليو/ تموز ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ١٢٢٢ ـ ١٢٢٥.

ـ الرافعي (٢) بقلم تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان؛ «الرسالة» العدد: ١٠٩، ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ هـ = ٥ أغسطس/آب ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ١٢٦٤ ـ ١٢٦٦.

ـ الرافعي (٣) بقلم تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان؛ «الرسالة» العدد: ١١٠، ١٣ جمادي الأولى سنة ١٣٥٤ هـ = ١٢ أغسطس/آب ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ١٣٠٣ ـ ١٣٠٦.

أما عن حياة الأستاذ محمد سعيد العريان فأقول:

التعريف
بمحمد سعيد العُرْيان[1]

[١٣٢٣ ـ ١٣٨٤ هـ = ٢/١٢/١٩٠٥ ـ ٦/١٩٦٤ م]

من هو ـ أديب مصري، كاتب، ناقد أدبي، قاصّ، وصحافي نشيط كشف في قصصه عن أمجاد الإسلام المرسومة على صفحات تاريخ مصر الإسلامية في عهد الطولونيين والأيوبيين والمماليك. وهو ناقد أدبي عُرف بالجرأة والصراحة والوضوح، كما ترى ذلك في الفصل الأسبوعي الذي كان يحرره بعنوان: «الأدب في أسبوع»، في مجلة «الثقافة» (مصر) بإمضاء «قاف» في سنتيها ١٩٤٢ و ١٩٤٣ م كما كتب في «الرسالة» أيضاً. تأثر بفن علي الجارم وواصل تقاليده.

وهو إلى هذا قاصٌّ معروفٌ، وضع جانباً من القصص الممتع المجوّد، جاءت حلقة في ذلك الاتجاه الذي بدأه، من قبل، جرجي زيدان وسار فيه فريد أبو حديد، جلا فيها جوانب مصر الإسلامية. تَتَلْمذَ على الرافعي، وعَمِلَ في كتابة سره وترجم له، فاتّجه تحت تأثيره نحو إحياء الأدب العربي الإسلامي والكشف عن أمجاد الإسلام في قصص عبّر فيها عن نبضات الشعب.

---

(١) نقلاً عن «مصادر الدراسة الأدبية» ليوسف أسعد داغر ٣/ ٨١٠ ـ ٨١٣ مع بعض الزيادات.

وهو كاتب جيّد العبارة، صادق الحب، مصقول البيان، كما يقول فيه أنور الجندي. يغلب على أسلوبه الاتجاه التاريخي، فقد عرف أن يمزج التاريخ بالأدب، وعمل في إبراز الأمجاد العربية الإسلامية الجديرة بالتخليد.

عُرف بالولاء للرافعي ورعىٰ له هذا الولاء بعد أن غيّبه الموت، وظل على مودّته له بالرغم من اتصاله بطه حسين والعمل معه في وزارة المعارف. وله بالوفاء صلة تبرز على أتمها في وفائه لزوجته فقد عاش لذكراها وفياً، فكتب في الذكرى الأولى لوفاتها فصولاً عن هذه المأساة تفيض بالحزن العميق واللوعة المشبوبة والكمد المحرق كما تدفق عبد الرحمن صدقي، من قبل، شعراً، بعد وفاة زوجته.

ولد بقرية محلة حسن، مركز المحلة الكبرى من أعمال محافظة الغربية، التحق بالمعاهد الدينية، بعد أن حَفِظ القرآن، وتخرَّج من دار العلوم، سنة ١٩٣٠م، واشتغل بالتدريس بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، ثم انتقل، عام ١٩٣٥م، إلى مدارس الوزارة، وبقي يدرس فيها حتى عام ١٩٤٢م، ثم انتقل إلى الإدارة يعمل في دواوينها الفنية، مراقباً فنياً أو مديراً لمكتب الوزير، في عهدي العشماوي باشا وطه حسين.

أمّا نشاطه الصحفي فيظهر في مشاركته الكبيرة في تحرير كثير من المجلات الأدبية: كـ «الرسالة» و «الثقافة» و «الكاتب المصري». وقد وجّه هذا الميل الصحافي إلى خدمة الصغار والناشئة عن طريق مجلة خاصة لهم تنشر فيها القصص الملائمة لميولهم وأعمارهم وتعدّهم لأن يكونوا قراء في

غدهم. ورحبت دار المعارف بهذه الفكرة فأصدرت مجلة «سندباد» في يناير/كانون الآخر ١٩٥٢م، فسدَّت هذه المجلة في ميدان صحافة الأولاد، فراغاً كبيراً، وتولى العريان رئاسة تحريرها، ثم رأىٰ أن يستعين بطائفة من المربين المتخصصين بقصص الأطفال.

مؤلفاتــه:

- «كيف أختار زوجتي» القاهرة، ديسمبر/كانون الأول ١٩٢٨ م (بحث عاطفي في كُتَيِّب).

- مجموعة القصص المدرسية، بالاشتراك مع الأستاذين أمين دويدار ومحمود زهران، من خريجي دار العلوم. سلسلة من القصص عدد حلقاتها ٢٣ حلقة، صدرت الحلقة الأولى منها في يناير/كانون الآخر ١٩٣٥ م.

- مجموعة التربية الدينية للمدارس الابتدائية.

- روضة الأطفال، سلسلة قصص بالاشتراك مع الأستاذين دويدار وزهران.

- «حياة الرافعي» حياة مصطفى صادق الرافعي المتوفى سنة ١٩٣٧ م ـ القاهرة مطبعة الرسالة، ١٩٣٩م، ص ٣٠٣؛ (١٩٥٥ م)، ص ٣٦٨.

- «قطر الندى» قصة تاريخية تصور حالة مصر في أثناء حكم الدولة الطولونية القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٥ م (سلسلة اقرأ).

ـ «على باب زويلة» قصة مصرية تاريخية تصور حالة مصر في آخر عهد سلاطين المماليك إلى الفتح العثماني ـ طبعة أولى ١٩٤٧م، طبعة ثانية ١٩٥١م، (نالت جائزة مجمع فؤاد الأول للقصة سنة ١٩٤٧م ـ أذن في ترجمتها إلى الروسية والفرنسية).

ـ «شجرة الدرّ» قصة تاريخية تصور حالة مصر في آخر عهد الأيوبيين وابتداء عهد المماليك ـ الطبعة الأولى، دار المعارف، ١٩٤٧ م (سلسلة اقرأ) رِقم ٦٠، طبعة ثانية خاصة، ١٩٥٠ م.

ـ... وآخرون «البترول والسياسة العربية» القاهرة، دار المعارف،؟ ـ ١٩٥م، ص ٢٠٨ ـ جداول ـ خرائط.

ـ «بنت قسطنطين» قصة تاريخية تصور محاولة الأمويين في عهد عبد الملك بن مروان، افتتاح القسطنطينية ـ القاهرة، ١٩٤٨ م.

ـ... وآخرون «حقيقة الشيوعية» القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥ م ص ١٩٨ ـ صور.

ـ رحلات سندباد.

ـ «من حولنا» قصص مصرية ـ القاهرة، دار الكاتب المصري، ١٩٤٥م، ص ٢٦٠.

ـ «قصة الكفاح بين العرب والاستعمار» ط ٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٠ م.

- «معركة الحرية».

- «أهداف المعركة».

- «العرب» (مترجم).

وقد أخرج طائفة من الكتب القديمة محققة، منها:

- «العقد الفريد» لابن عبد ربه، في ٨ أجزاء - القاهرة، المكتبة التجارية، ١٩٤١م، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٣م، ج ٨ في ٤ مجلدات.

- «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لعبد الواحد المراكشي - القاهرة، ١٩٤٩ - طبعة ثانية، من إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

- «الأمصار والعمران» لابن خلدون.

مصادر ومراجع:

- يوسف أسعد داغر - «مصادر الدراسة الأدبية» ٣/ ٨١٠ - ٨١٣.

- محمد عبد الجواد - تقويم دار العلوم، ص ٤٢٩ - ٤٣٣ (وفيه صورته).

- أنور الجندي - أضواء على حياة الأدباء المعاصرين: ٤٨ - ٥٣.

- أنور الجندي - المحافظة والتجديد في النثر الغربي: ٧٤٠ - ٧٤٥.

- محمود حامد شوكت ـ الفن القصصي في الأدب المصري الحديث، ص ١٧٩.
- خير الدين الزركلي ـ الأعلام، ٦/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

الرافعي

١

«بيانٌ كأنَّهُ تنزيلٌ من التَّنْزيلِ، أَوْ قَبَسٌ مِنْ نُورِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ»

سعد زغلول(١)

بَيْني وبَيْنَ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي عَهْدٌ وذِمَّةٌ، وله عليّ حُرْمَةُ المعلِّم والأَبِ والصِّدِّيق؛ أَفَتَرَىٰ كُلَّ أُولئك يَمْنَحني الحقَّ أَنْ أَكْتبَ عنه كما عَرَفْتُه، وأَخَذْتُ عَنْه، واسْتَمَعْتُ إليه، وَٱسْتَمْتَعْتُ بفَنِّهِ وَأَدَبِهِ ومَجْلِسِهِ؛ أَمْ تراه سَيَغْضَبُ إِذ يراني أَتَناولُ حياتَهُ وأَدَبَهُ فأَنْشُر مِنْهُمَا على الناس، ثم لا أُنْبِئه بما ٱعْتَزَمْتُ إلا حِينَ تَنْبِئه الصَّحائفُ المنشورَةُ، على حين أُجالِسُهُ كُلَّ مساءٍ...؟.

وَإِنِّي لحَرِيصٌ على رِضاه، وما أَعْلَمُ أَنَّهُ يُغْضِبُه أَنْ يَحْسُنَ رأيي فيه أو يَسوءَ؛ فَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ عِلْمِي أنّ ذلك حَقُّ الأَدَبِ، لا يَمْنَعُ منه تَفاوتُ المنازِلِ أَوْ تداني الرُّتَبِ، ولا يُؤَثِّرُ

(١) من كتاب لِفَقيدِ الشَّرْقِ الزعيم سعد زغلول إلى الرافعي، في تقريظِ كتابِهِ «إعجازُ القرآن».

فِيهِ حَقُّ المُعَلِّمِ والأَبِ والصَّدِيقِ، بل لَعَلَّهُ إِذْ يَغْضَبُ أَنْ يكونَ غَضَبُهُ من أَنَّهُ يُؤْثِرُ العَيْشَ في عُزْلَتِهِ الّتِي رَضِيَها لِنَفْسِهِ، بَعِيداً مِنْ ضَوْضاءِ الحياةِ وَصَخب النَّاسِ، مُنْعَزِلاً فِي (طنطا) الحبيبَةِ إِلَيْهِ، عن مجالي الأدَبِ وَمُزْدَحَم المُتَأَدِّبين في (القاهرة).

علىٰ أَنِّي إِلىٰ ذَلِكَ لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ طَلِبةً للأُسْتاذ الزَّيَّاتِ، وهو قَدْ طَلَبَ إِلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ هذا الفَصْلَ عن الرافعي، على عِلْمٍ بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدِي وَمَنْزِلَتِي عِنْدَهُ؛ أَفَتَشْفَعُ لي هذه المعْذِرةُ عند الأستاذ الرافعي أمْ سَيَشْفَعُ لي الأستاذُ الزَّيَّاتُ..؟.

❊ ❊ ❊

تمهيد:

سَمِعْتُ اسْمَ الرافِعيِّ لأوَّلِ مَرَّةٍ مقْتَرناً إلى نشيدِهِ الخالِد: «اَسْلَمِي يا مِصْرَ..» في حَفْلٍ حاشِدٍ بطنطا؛ وكان لاسْمِهِ يَوْمَئِذٍ في أُذُني رَنِينٌ عَذْبٌ، امْتَزَجَ بأنْغامِ ذَلِكَ النَّشِيدِ، وَتَأَلَّفَ لي مِنْهما لَحْنٌ عُلوِيٌّ ساحِرٌ، فيهِ جَمالٌ وَعذوبَةٌ، وَفِيهِ اعْتزامٌ وَقُوَّةٌ. علىٰ أَنِّي لم أَكُنْ أَعْرِفُ يَوْمَئِذٍ أَهُوَ الرّافِعيُّ صاحب «الأَخْبارِ»[١]، أم رافعيٌّ آخَرُ، تَجْمَعُ بَيْنَهما وحْدةُ اللَّقَبِ وشِرْعَةُ الوَطنيةِ.

(١) هو المرحوم أمين بك الرافعي صاحب جريدة «الأخبار» المصْريَة، وابن عم الأستاذ مصطفى.

ومَضَتْ سنواتٌ، وشَدَوْتُ مِنَ العِلْم ما شَدَوْتُ، وإذا صَديقٌ يَدْفَعُ إليَّ كتاب «رسائل الأحزان».

كُنْتُ يَوْمَئِذٍ في بُكْرَةِ الشَّبابِ، في تلك السنّ التي تَدْفَعُ الفَتَىٰ إلى الحياةِ بِعَيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْن، وفِكْرٍ حالمٍ، ورأسٍ يَزْدَحِمُ بالأماني، وقَلْبٍ مَمْلوءٍ بالثِّقَةِ؛ ثم لا يكادُ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ على حقائق هذا الوجودِ، حتى يَعْرفَ أنْ دُنْياهُ من دُنْيا النَّاسِ، ويَحسَّ الفرقَ بين عالم قَلْبِهِ، وعالَم حِسِّهِ، وتَسْخَرُ مِنْهُ الدنيا سُخْرِيَتَها الأليمةَ؛ فَيَلْجَأُ إلى وحْدَتِهِ الصامِتَةِ يَذْرُفُ دَمْعَ عَيْنَيْهِ ودَمْعَ قَلْبِهِ، فلا يَطْرَبُ إلا لأنغامِ الحُزْنِ، وَلا يُسَرِّي عَنْه إلا رسائل الأحزان..!.

واستهواني عنوانُ الْكِتابِ، فتناوَلْتُه أُقَلِّبُ صفحاتِهِ، لا أكادُ أَفْهَمُ جُمْلَةً إلى جُمْلَةٍ.. حتى ٱنتَهَيْتُ إلى قَصِيدَتِهِ «حِيلَةُ مِرْآتِها» فإذا شِعرٌ عَذْبٌ يخالِطُ النَّفْسَ، ويَنْفُذُ في رِفْقٍ إلى القَلْبِ؛ وَإِذا أنا أُعِيدُها مَرَّةً وَمَرَّةً، فلا أَدَعُ الْكِتَابَ حتَّى أَسْتَظْهِرَ القَصِيدةَ. وَحبَّبَ إِليّ هذا الشِّعْرُ الساحِرُ أَنْ أعودَ إلى الكِتابِ، فَأَقْرَأهُ في رَوِيَّةٍ وَمَهْلٍ لعلّني أنْ أَسْتَدْرِكَ ما فاتَني من معانيه؛ وأَدَّخِرَ لِنَفْسِي قُوَّةً من سِحْرِ بيانِهِ، وصِدْقِ عواطِفِهِ؛ وَعُدْتُ إِلَيْهِ أَقْرَؤُهُ قِراءَةَ الشِّعْرِ، أفْهَمُهُ بِفِكْرِي وَشُعورِي، وَأَنْظُرُ فِيهِ بِعَيْنَيَّ وَقَلْبِي؛ فَإِذا الْكِتابُ يَكْشِفُ لي عن مَعْناه.

وَأَحْبَبْتُ الرّافِعِي من يَوْمَئِذٍ، فَرُحْتُ أَتَتَبَّعُ آثارَه في الصُّحُفِ والْكُتُبِ، لا يَفُوتُني مِنْها شَيْءٌ. وَأَشْهَدُ، لَقَدْ كُنْتُ أَجْهَدُ جَهْداً شَدِيداً في فَهْم كِتابة الرَافعي؛ لأَنّي لَمْ يَكُنْ لي عَهْدٌ بِمِثْلِها فيما أَقْرَأُ، وما كُنْتُ أَقْرَأُ من قَبْلُ إِلا لِإِزْجاءِ الفراغ، أَلْتَمِسُهُ في ذلك النَّوْعِ الهَيِّنِ من أَدَبِ القِصَص والصُّحُفِ؛ على أَنّني كُنْتُ إِلى جانِبِ ذلك أُحِبُّ الشِّعْرَ، أَقْرَؤه فأَفْهَمُ ما أَقْرَأُ، فكانَ لي من ذلك ما أَعَانَني على فَهْمِ الرافِعيّ، ثُمّ الإعجابُ به من بَعْدُ، ثُمَ أَلَّا يُعْجبني إِلَّا مثلُ ما يَكْتُبُ...

صلتي بالرافعي:

كُنْتُ أَعْرِفُهُ وَأَسْمَعُ عنه، على حين لا يَعْرِفُني ولا يَسْمَعُ بي، ولَيْسَ عَجِيباً؛ وكُنْتُ أَلْقاهُ في الطَّريق مُنْطَلِقاً إلى غَرَضٍ، يَهزُّ في يُمْناهُ العَصا، ويَتَأَبَّط بِيُسْراه عَدِيداً من الصُّحُفِ والمجلات والْكُتُبِ، وَاسِعَ الخَطو لا يَتَمَهَّلُ، ماشِياً على حَيْدِ الطَّرِيقِ لا يَميلُ، ناظِراً إلى الأَمامِ لا يَتَلَفَّتُ إلا حين يَهُمُّ باجْتياز الشَّارِع؛ فإذا أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ تَحِيَّةً، رَفَعَ يُمناهُ بالعَصا إلى رَأْسِهِ من غَيْرِ أن يَنْظُرَ يُمْنةً أو يُسْرةً أَوْ تَضِيقَ خُطاه؛ وكُنْتُ أَرَى ذَلِك فأَحْسَبُهُ نَوْعاً من الكِبْرِ وأَرُسْتقراطيّة العُلماء، فباعَدَ ذلك بَيْني وبَيْنَهُ إلى حِينٍ...

ففي خريف سنة ١٩٣٢م، اجْتَمَع بِطَنْطا طائِفَةٌ من

الشباب على تَأْليفِ رابِطَةٍ أدبية باسم «جماعة الثقافة الإسلامية»، تَقومُ أغراضُها على العِناية بشُؤون الأَدَبِ والاجْتماعِ، والعَمَلِ على إحياءِ مَجْدِ العَرَبِ والإسلام. وَتذاكَرَ المُجْتَمِعون فِيمَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَنْضَمَّ إلى الجماعَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ لِتَقْوَىٰ بِهِ على تَنْفِيذِ أغْراضِها، فكانَ ٱسمُ الرَّافِعِي أوَّلَ هذه الأسماء.

وذَهَبْتُ إِلَيْهِ عن أَمْرِ الجماعة في وَفْدٍ ثلاثة، فَلَقِيَنا الرَّجُلُ مُرَحِّباً مُبْتَسِماً، وقادَنا إلى (دار كُتُبه)، ثم جَلَسَ وجَلَسْنا؛ وفي تلك الغُرْفَةِ التي تَتَنَزَّلُ فيها عليه الحِكْمَةُ وَيُلَقَّى الوَحْي، جلَسنا إِلَيْه ساعَةً يُجاذِبُنا وَنُجاذِبُهُ الحديثَ ما نَكادُ نَشْعُرُ أَنَّ الزَّمَن يَمُرُّ.

كان جالِساً خَلْفَ مَكْتَبٍ تَكادُ الْكُتُبُ من فَوْقِهِ تَحْجُبُهُ عن عَيْنَيْ مُحَدِّثِهِ؛ وَعَنْ يَمينِهِ وشِمالِهِ مناضِدُ قد ازْدَحَمَتْ عليها الكُتُبُ في غير تَرْتيبٍ ولا نِظامٍ، تَطُلُّ مِنْ بَيْنِ صَفَحاتها المَطْوِيَّةِ قصاصاتٌ تُنْبِئُكَ أَنْ قارِئها لم يَفْرَغْ منها بَعْدُ، أَوْ أَنَّ لَه وِقْفَةً عند هذا المَوْضِعِ من الكِتابِ سَيَعودُ إِلَيْها. وعلى حِيطانِ الغُرْفَةِ أَصْونَةُ الْكُتُبِ المُتَراصَّةِ، لا يَبْدُو مِنْ خَلْفِها لَوْنُ الجدارِ...

وَمَضى يَتَحَدَّثُ إِلَيْنا حديثَ المُعَلِّم، وحديثَ الأبِ،

وحديثَ الصَّدِيق؛ فما شِئْتَ من حِكْمَةٍ، وما أكْبَرْتَ من عَطْفٍ، وما اسْتَعْذَبْتَ من فُكاهَةٍ؛ وللرّافِعِي فُكاهَةٌ رائِقَةٌ يَخْتَرِعُها لِوَقْتِها لا تَمْلِكُ مَعها إلّا أَنْ تَضْحَكَ وَتَدَعَ التوقُّرَ المصْنُوعَ؛ على أَنَّ لَهُ في فُكَاهَتِهِ مذاهِبَ عَقْلِيَّةً بَدِيعةً، تَحُسُّ فيها رُوحَهُ الشاعِرةَ، وَفنَّهُ البِكْرَ، وحِكْمَتَه المُتَّزِنَةَ، وَسُخْرِيَتَه اللاذِعَةَ؛ ويكادُ يَكونُ كَثِيرٌ من مقالاتِ الرافعي بُرْهاناً على ذلك، فَقَلَّما تَخْلُو إِحْداها مِنْ دُعابَةٍ طَرِيفَةٍ أو نُكْتَةٍ مُبْتَكَرَةٍ.

وَطالَ بِنا المجْلِسُ وَخَشِينا أنْ نكونَ قَدْ أَثْقَلْنا عَلَيه، فَهَمَمْنا بالانْصِرافِ، وَإذا هو يَطْلُبُ إِلَيْنا البَقَاءَ، وَيُلِحُّ عَلَيْنا في تَكْرارِ الزِّيارَةِ، وَيَكْشفُ لنا عن سُرُورِهِ بِأَلّا نُغِبَّ مَجْلِسَهُ، وعَرَفْتُ الرَّافِعي عرفاً تاماً من يَوْمَئِذٍ فَلَزِمْتُهُ، وعَرَفَني هو أيضاً فأَصْفاني عَطْفه وَمَوَدَّته.

اختبار!

وجَلَسْتُ إِلَيْهِ في الزَّوْرَةِ الثَّانِيَةِ وبَيْنَ يَدَيْهِ صُحُفُهُ وكُتُبُهُ، فَدَفَعَ إِلَيَّ صَحِيفَةً يَوْمِيَّةً كانَ مَنْشُوراً فِيها يَوْمَئِذٍ قَصِيدةٌ لشاعِرٍ كبيرٍ، وطَلَبَ إليّ رَأيي في القَصِيدَةِ. لَمْ أَتَنبَّهْ ساعَتَئِذٍ إِلى غَرَضِهِ، وحَسِبْتُه يقْصُدُ إلى أَنْ يُشارِكني في لَذَّةٍ عَقْلِيَّةٍ أَحسَّها في هذا الشِّعْرِ؛ فَتناوَلْتُ الصَّحِيفَةَ وقَرَأْتُ القَصِيدةَ، ثم دَفَعْتُها إلَيْه وقد أَشَرْتُ بالقَلَمِ إلىٰ عُيُونِ أبياتِها وَرَأيي فيها، وَتَناوَلَها

مِنّي ليرىٰ اخْتِياري، فَما عَرَفْتُ إلا وَقْتَئِذٍ أَنَّهُ كانَ يَخْتَبِرُني؛ وَلَكِنِّي - والحَمْدُ لِلّهِ - نَجَحْتُ في الامْتِحانِ قَدْراً مِنَ النَّجاحِ...!

وَتَكَرَّرَ هذا الاخْتِبارُ مَرَّاتٍ وهُوَ لا يَحْسَبُني أدْرِكُ ما يَعْنِي، علىٰ أَنْ إِدْراكي هذا قد جَعَلنِي مِنْ بَعْدُ أَكْثَرَ تَدْقِيقاً في اختيارِ الحَسَنِ مِمّا أَقْرأُ. وَأَوْلاني ثِقَتَهُ على الأَيّامِ، فكانَ عَلَيَّ مِنْ بَعْدُ أَنْ أَقْرأَ أَكْثَرَ ما يُهْدَىٰ إِلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ، لِأشِيرَ لَهُ إلى المواضِعِ الّتِي يَصِحُّ أَنْ يقرأها مِنْها، وأدَعُ ما لا جَدْوَىٰ عَلَيْهِ من قراءَتِهِ ضَنّاً بوَقْتِهِ؛ وكُنْتُ أَنا أَكْثَرَ رِبحاً بِذاكَ...

الشيخ الرافعي...

كَثِيرٌ مِنَ الّذِينَ يقْرَأُونَ للرّافِعي ويعجبون به، لا يَعْرِفون عنه إلا هذا الأَدَبَ الحَيَّ الّذي يَقْرَأون؛ بَلْ إنّ أَكْثَرَ هؤلاء القُرّاءِ لِيَتَخَيَّلونَهُ شَيْخاً معْتَجِرَ العِمامةَ، مُطْلِقَ العَذَبَة، مسْتَرْسِلَ اللِّحْيَة، مِمّا يَقْرَأون لَهُ مِنْ بُحوثٍ في الدين، وآراءٍ في التَّصَوّفِ، وحِرْصٍ على تُراثِ السَّلَفِ، وَفِطْنَةٍ في فَهْمِ القُرْآن، مِمّا لا يُدْرِكُهُ إلا الشُّيوخُ، بَلْ مِمّا لا يُدْرِكُهُ الشُّيوخُ.. وَكَثِيراً ما تَصِلُ إِلَيْه الرَّسائِلُ بعنوانِ: «صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى صادق الرافعي...» أو «صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر..».

ومن طَرِيفِ هذا البابِ رسالَةٌ جاءَتْهُ من حَلَب مُنْذ قريبٍ يُبْدِي كاتِبُها دَهْشَتَهُ أَنْ يَرَىٰ صورَةَ الرافِعي مَنْشُورَةً في «الرسالة» إلى جانِب مقالَتِه في عَدَدِ الهِجْرة، مُطَرْبَشاً، حَلِيقَ اللِّحْيَةِ، أَنِيقَ الثّيابِ، على غَيْرِ ما كانَ يَحْسَبُ؛ وَيَتَساءَلُ كاتِبُ الرِّسالة: «لماذا يا سَيِّدي أُبْدَلْتَ ثِياباً بثيابٍ، وَهَجَرْتَ العِمامَةَ والجُبَّة والقِفْطان، إلى الحِلَّة وَالطَّرْبوشِ؟ أَلَكَ رَأْيٌ في مَدَنِيَّةِ أوربةَ وفي المَظاهِرِ الأُوربيَّةِ غَيْرَ الرأي الذي نَقْرَؤُهُ لَكَ...؟».

وَما كانَ هذا السّائِلُ في حاجَةٍ إلى جَوابٍ، لَوْ أَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ الرَّافِعِيَّ لم يَلْبَسِ العِمامَةَ قَطُّ، وهذا لِباسُهُ الّذي نَشَأَ عَلَيْهِ مُنْذُ كانَ صَبِيّاً يَدْرُجُ في طَرْبوشِهِ وَسَراوِيلِهِ القَصِيرَةِ، يَوْمَ كانَ تلميذاً يَدْرُسُ الفِرَنْسِيَّةَ إلى جانِبِ العَرَبِيَّةِ بِمَدْرَسَةِ المَنْصورَةِ...

نشأتــه:

على أَنَّ نَشْأَةَ الرَّافِعِي كانَ لها أَثَرٌ بالِغٌ في هذا الاتِّجاهِ العَقْلِيِّ الّذي بَرَزَ فيه وتَفَرَّدَ به؛ فهُوَ قَدْ نَشَأَ في بَيْتٍ له نَسَبٌ عَرِيقٌ في الإسْلام. وأَنْتَ إذا رَجَعْتَ إلى تاريخِ القَضاءِ في مِصْر إلى قَرْنٍ مَضَى، رَأَيْتَ لاسْمِ (الرّافِعِي) تاريخاً في كُلِّ دِيوانٍ من دَواوِين القَضاء والإِفْتاءِ. وَقَبْلَ نُزُوحِ الشَّيْخ محمد الرَّافِعِي الكبير من طَرابُلُس الشام لم يَكُن معروفاً لِمَذْهَبِ أبي أبي حنيفة أتباعٌ في مِصْر؛ فهو شَيْخُ الحَنَفِيَّةِ في هذه الديار غَيْر

منازع، وقد تَخَرَّجَ على يَدَيْهِ أَكْثَرُ عُلماء الحَنَفِيَّةِ الذين نَشَرُوا المَذْهَبَ، ومن تلاميذِهِ المرحوم الشيخ محمد البَحْرَاوِي الكبير؛ كما تَخَرَّجَ على يَدَيْ أَخيه الشيخ عَبْد القادِرِ الرافعي كَثِيرٌ مِنْهُم، ومن تلاميذِ أخِيه شيخ الشيوخ الآن فضيلة الأستاذ محمد بَخِيت مُفْتِي الدَّوْلة السَّابق، مَدَّ اللّهُ في حياتِهِ. وقد مَضىٰ زَمَنٌ كانَتْ فيه وظائف الإفتاء كلُّها مَحْبُوسَةً على (آل الرّافِعي)، حتى ذَكَرَ اللوُّرد كرومر في بَعْض تقارِيرِه: «إنّ من هَذِهِ الأُسْرَةِ أربعين قاضِياً شَرْعِيّاً». وأبو المترجم له الشّيْخ عبد الرازق الرافِعِي، كانَ رَئِيساً للمَحاكِمِ الشّرْعِيّة في كَثِيرٍ من الأقاليم، وكانَ رَجُلاً وَرِعاً له صلابَةٌ في الدِّينِ، وشِدَّةٌ في الحَقِّ، ما بَرِحَ يَذْكُرُها معَ الإعجابِ معاصروه من شيوخِ طَنْطا. وبَيْتُ الرّافِعِي في طرابلس الشام مِنَ البيوتِ الرّفيعَةِ، وما يزالُ كَعْبَةً يَحُجُّ إلَيْها العلماءُ. وَٱسمُ (الرافعي) معروفٌ في تاريخ الفِقْهِ الإسلامي مُنْذُ قُرونٍ...

فالأستاذُ مصطفى صادق الرّافِعي وَإِن كان قَدْ تَرَبّىٰ تربيةً مَدَنِيّةً كالّتي يَنْشَأُ عليها أَكْثَرُ أَبْناءِ هذا الجِيلِ لَمْ يَزَلْ بَعْضَ أَهْلِهِ؛ وقد حَمَلَ عن آبائِهِ الرَّايَةَ يَقْتَحِمُ بها في سبيل الدِّين، وينافِحُ الشِّرْكَ، ويَدْعُو إلى اللّهِ. وما جِهادُه في ذلك ـ على تسلُّطِ أَسْباب الفِتْنَة والزَّيْغِ في هذا الزمان ـ إلا حَلقةً من

سِلْسِلَةِ جِهادٍ طَويل، أَفْرَغَها آباؤه حلقةً حَلْقةً مُنْذُ ٱنحَدَرَ أَوَّلُهُم من صلْبِ الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

الرافعي الشاعر:

أَفرأَيْتَ الرَّافعي وهذا مَنْشَؤُهُ ونَسَبُهُ يَقْنَعُ بالقَدْرِ الضَّئيلِ من العِلْمِ الّذِي تَلقّاهُ في المَدْرسةِ؛ وَمِنْ أَيْنَ للرَّافِعيِّ أَنْ يعرف هذه القَناعَة...؟.

فما هو إلا أَنْ تَرَكَ المَدْرَسَةَ حتى ٱنْكَبَّ على كُتُبِ الدِّينِ والعربيَّةِ يَسْتَبْطِنُ أسرارَها ويَنْبُشُ عن دَفائِنِها؛ فَحَصَّلَ ما حَصَّلَ من عُلومِ اللُّغَةِ وَالدِّين، وَبَلَغَ ما بَلَغَ من أساليبِ البَلاغَةِ وأَسرارِ العَرَبيَّةِ. وكانَ في نَفْسِ الرافِعيِّ هَوَىٰ قَدِيمٌ أَنْ يَكونَ شَاعِراً... فَأَخَذَ يَقْرِضُ الشِّعْرَ، وَأَتَمَّ طَبْعَ الجزء الأول من ديوانِهِ وَلَمَّا يَبْلُغَ الثالثة والعشرين.. وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِّ ديوانِهِ مقدَّمةً بليغةً، كانَتْ وحْدَها البُرهانُ علىٰ أَنّ هذا الشْابَ النَّحِيلَ الضّاوِي الجسد يَعْرُفُ أَيْنَ مَوْضِعُهُ بين أُدباءِ العَربيّةِ في غَدٍ.. وَما أُحاولُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عنِ الرّافعيّ الشاعِرِ الأَدِيب في دِيوانِهِ وَعَنْ مُقدَّمَة ديوانه بِأَبلَغَ مِمّا قالَ عَنْهُ العلامةُ الشيخ إبراهيم اليَازجي، وهو يَوْمَئِذٍ أديبُ العَصْرِ وأَبْلَغُ مُنْشِىءٍ في العالَمِ العَرَبيِّ؛ فقد كَتَبَ في عددِ يونيو/تموز سنة ١٩٠٣ م من مجلة «الضياء»، في تقريظ الجزء الأول من ديوان الرافعي ما يأتي:

«وقد صَدَّرَهُ الناظِمُ بمقدَّمَةٍ طويلَةٍ في تَعْريفِ الشِّعْرِ، ذَهَبَ فيها مَذْهباً عَزِيزاً في البَلاغَةِ، وَتَبَسَّطَ ما شاء في وَصْفِ الشِّعْر، وتقسيمِهِ، وبيانه مزيَّتِهِ، في كلام تَضَمَّن من فنون المجازِ، وضروبِ الخيال، ما إذا تَدَبَّرْتَهُ وجدْتَهُ هو الشِّعْرُ بعَيْنِهِ...

ثم انتقدَ الأستاذ اليازجي بعض ألفاظٍ في الديوان، وعَقَّبَ عليها بِقَوْلِه:

«... على أَنّ هذا لا يَنْزِلُ من قَدْرِ الديوان وإن كان يُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْلُوَ مِنْهُ؛ لأنّ المِرآة النَقِيَّة لا تَسْتُرُ أدْنى غُبارٍ، ومن كَمُلَتْ محاسِنُهُ ظَهَرَ في جَنْبِها أقلُّ العيوب؛ وما انْتَقَدْنا هذه المواضع إلا ضَنّاً بِمِثْلِ هذا النَّظْم أن تَتعلَّقَ به هذه الشوائب، ورَجاءَ أن يَتَنَبَّهَ إلى مِثْلِها في المُنْتَظَر، فَإنّ النّاظِمَ - كما بلغنا - لم يتجاوزِ الثالثة والعشرين من سِنِيّه؛ ولا ريب أَنّ مَنْ أَدْرَكَ هذه المَنْزِلَةَ في مثل هَذِهِ السِّنّ، سيكونُ مِنَ الأَفْرادِ المُجلِّين في هذا العصر، وَمِمَّنْ سيُحَلُّون جِيدَ البلاغة بقلائِدَ النظم والنَّثْر...».

الرافعي وحافظ:

لم يَكُنِ الشَّيْخ إبراهيم اليازجي وحْده هو الذي تَنَبَّأَ للرافِعِي الشابِّ بالمَنْزِلة الرفيعة التي يَتَبَوَّؤها اليَوْمَ؛ فقد نالَ

يَوْمَئِذٍ أكبر قِسْطٍ من عِنايَةِ الأُدباء في عَصْرِه؛ وهذه أبياتٌ لشاعِرِ مصر الكبير المرحوم حافظ إبراهيم، بَعَثَ بها إلى الرافعي في سنة ١٩٠٦ م تَدُلّ بنفسها على مِقدارِ احْتفال أدباء العَصْرِ بهذا الناشِيءِ الجبَّارِ[١]:

أَرَاكَ وَأَنـتَ نَـبْتٌ الـيَـوْمَ تَـمْـشِـي
بِـشِـعْـرِكَ فَـوْقَ هَـامِ الأَوَّلِـيـنَـا
وَأُوتِـيـتَ (الـنُّـبُـوَّةَ) فـي الـمَـعَـانِـي
وَمَـا جَـاوَزْتَ حَـدَّ (الأَرْبَـعِـيـنَـا)
فَزِنْ تاجَ الرِّيَاسَةِ بَعْدَ (سامي)[٢]
كَـمَـا زَانَـتْ فَـرائِـدُهُ الـجَـبِـيـنَـا
وَهَـذَا الـصَّـوْلَـجَانُ فَكُنْ حَرِيصاً
عَلَىٰ مُلْكِ القَرِيضِ وَكُنْ أَمِينَا
وَحَسْبُكَ أَنْ مُطْرِيكَ (ٱبْنُ هَانِي)[٣]
وَأَنَّـكَ قَـدْ غَـدَوْتَ لَـهُ قَـرِيـنَـا

(١) أتاحت لي صحبة الرافعي ثلاث سنين، أن أَقرأ أكْثَرَ رسائل الأدباء إليه بِخَطِّ أصحابها؛ فَكُلَّ ما سيأتي ذِكْرُهُ منها في هذا المقال أَثْبَتُّهُ عن بَيِّنَةٍ.

(٢) محمود سامي البارودي باشا، المتوفىٰ سنة ١٩٠٤م.

(٣) ابن هانىء: أبو نواس الشاعر العباسي المشهور، ويعنى به حافظ نفسه.

نبوءتان:

لم يتناولِ الرافعيُّ في الجزء الأول من ديوانِهِ إلا ما يتناوَلُهُ الشباب من فُنونِ الشِّعْرِ، ولم يَكُنْ مَعْرُوفاً له اتجاهٌ أدبيٌّ إلىٰ غَيْرِ هذا اللون من شِعْرِ الشباب؛ على أَنَّ نبوءةً من وراءِ الغَيبِ جاءَتْ على لسان الأستاذ الإمام (محمد عَبْده)، في كتابٍ بَعَثَ به إلى الرافعي سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) تَدْعُو إلى العَجَبِ وَالتأَمُّلِ؛ إذْ ختم كِتابَه إلى الرافعي بِهَذِهِ العِبارَةِ:

«... أَسْأَلُ اللّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِلْحَقِّ مِنْ لِسانِك سَيْفاً يَمْحَقُ بِهِ الباطِلَ؛ وَأَنْ يُقِيمَكَ في الأَواخِرِ مَقامَ حَسّانٍ في الأَوائِلِ».

أفكانَ الشَّيخ محمد عبده يُلَقَّى الغَيْب، فَيَعْلَمُ من شأْنِ الرّافعيّ في غَدِهِ مُقَامَه في الدِّفاع عن الحَقِّ وَالذَّوْدِ عن لُغَةِ القُرْآنِ؛ أم ٱسْتَجابَ ٱللّهُ دُعاءَهُ للرافِعِي كما ٱسْتَجابَ دُعاءَهُ لحافظ[1]...

وَأَشْبَهُ أنْ يَكُونَ نبوءة أخرى ما كَتَبَه المرحوم الزعيم

(١) لما عَرَّبَ حافظ كتاب «البؤساء» عن الفرنسية، أهداهُ إلى الأستاذ الإمام مَعَ كَلِمَةٍ جاء فِيها: «وقد عُنيتُ بتَعريبه لما بَيْني وبين أولئك البؤساء مِنْ صِلَةِ النَّسَبِ...» فيقال إنّ الأستاذ الإمام كتب إليه يمازِحُه: «لو كانَ البُؤْسُ هو الّذِي أعانَكَ على تعريبِ هذا الْكِتابِ، فإني أدْعُو الله أَنْ يزيدَك بُؤْساً...!» فكان حافِظ ـ رحمه الله ـ يقولُ: «اسْتَجابَ الله دعاءَ الإمام!» وقد عاشَ حافِظٌ مدَّةَ حياتِهِ بائِساً ومات بائِساً.

مصطفى كامل باشا من تقريظِهِ ديوان الرافعي في جَرِيدَةِ اللِّواء: «وَسَيَأْتي يَوْمٌ إذا ذُكِرَ فيه الرّافِعيُّ قال الناسُ: هو الحِكْمَةُ العالِيَةُ مَصُوغَةٌ في أجْمَلِ قالَبٍ من البَيانِ...».

ولما همّ الكاظِمِيُّ الشاعِرُ أن يسافِرَ إلى الأندلس في سنة ١٩٠٥ م كَتَبَ إلىٰ الرافِعيِّ: «ثِقْ أَنِّي أُسافِرُ مُطْمَئِنّاً وَأنْتَ بَقِيَّتِي في مِصْر...».

٢

الرافعي الأديب:

مَضىٰ الرافعيّ في قَرْضِ الشِّعْرِ، مَعْنِيّاً به، مُتَصَرِّفاً في فنونِهِ، ذاهِباً فيه مذاهِبَهُ، إلى جانِبِ عنايَتِهِ بالتأليفِ والكتابَةِ، وانْكِبابه على العِلْمِ والتَّحْصيلِ، فَوَضَعَ في سنة ١٩١١ م كتابَهُ «تاريخ آداب العرب»، وَحَسْبُكَ به مِنْ كتابٍ أَنْ يَقْضِيَ الأستاذُ الكبيرُ أحمد لطفي السيد بك أُسْبوعاً يَخْطُبُ عنه في مجالِسِ العاصِمَةِ[١]، وَقَدْ كَتَبَ عنه الأميرُ شَكِيب أرسلان ـ وهو أشْهَرُ كتّابِ العربية في ذلك الوقت ـ مقالَةً في صَدْرِ «المؤيد» جاءَ

(١) حدثني الأستاذ الرافعي بهذه العبارة، كما حكاها له الأستاذ أحمد لطفي السيد بك.

فيها: «لو كانَ هذا الكتابُ في بَيْتٍ حَرامٌ إخراجُه للنّاسِ مِنْه، لكان جَديراً بأن يُحَجَّ إلَيّهِ؛ ولو عُكِفَ على غَيْرِ كتابِ الله في نواشِيءِ الأَسْحار، لكانَ جَدِيراً بأن يُعكَفَ عَلَيْهِ...».

وقالَ عنه المُقْتَطَفُ: «إنَّه كِتابُ السَّنَةِ...» وما كَتَبَ المقتطف مِثْلَ هذه الكَلِمَةِ من قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ لِغَيْرِ هذا الكتاب.

ومَنْ يَقْرَأُ كتاب الرافعي «تاريخ آداب العرب» يَعْرِفُهُ عالِماً عميقَ البَحْثِ، مُرَتَّبَ الفِكْرِ، واسِعَ المَعْرِفَة؛ إلى جانِبِ مَعْرِفَتِه به شاعِراً عَرَبِيَّ الدِّيباجَةِ، مُشرِقَ المَعْنَى، مَشْبُوبَ العاطفة؛ على أَنَّهُ كانَ يَوْمَئِذٍ لم يجاوِزِ الثلاثين...

ثُمَّ أَلَّفَ الرّافعيّ «كتاب المساكين» الذي يقولُ عَنْهُ فَقِيدُ العربية العلّامة أحمد زكي باشا: «لقد جَعَلْتَ لنا شكسبير كما للإنكليز شكسبير، وغوته كما للألمان غوته، وهوغو كما للفرنسيين هوغو».

وتألَّقَ نَجْمُ الرافعي الشاعرِ العالـمِ الأديبِ، وبَرَزَ ٱسمُهُ بين عشراتِ الأسماء من أُدباء عَصْرِه برَّاقاً تَلْتَمِعُ أَضواؤه وترمي أَشِعَّتَها إلى بَعيدٍ؛ على أنَّ هذه المنزلة الكريمة التي نالَها الرافعي بَيْن الكُتَّابِ إلى جانِبِ مَنْزِلَتِهِ في الشِّعْر - لم تَكُنْ

غـريبةً؛ فقد حَدّثني أديبٌ فاضِلٌ[١] كانَتْ لَهُ صلَةٌ بالعلاّمة الشيخ إبراهيم اليازجي: أنّ الرافعي لما طَبَعَ الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٣ م وأهْدَىٰ منه نُسْخةً إلى الأستاذ اليازجي - أبْطَأَ في الكتابة عن الدِّيوانِ؛ فسأَلَهُ هذا الأديبُ الفاضِلُ في ذَلِكَ فقالَ: لَقَدْ قَرأْتُ مُقَدِّمةَ الدِّيوان فأكْبَرْتُ أنْ يكونَ كاتِبُها من عَصْرِنا؛ فأنا مُنْذُ أُسْبوعَيْن أَبْحَثُ عَنْها في مَظانِّها مِنْ كُتُبِ العربيّةِ، مما أُخادِعُ نَفْسي في قُدْرَةِ هذا الشّيْخِ على كِتابَةِ مِثْلِها. فقال له: إنّهُ لَيْسَ بِشَيْخٍ، بل هو فَتَى لم يَبْلُغِ الثالثة والعشرين...

ولَيْسَ عَجيباً أنْ يَكُونَ هذا كلامُ اليازجي، فقد بَرْهَنَ الرَّافِعيُّ من بَعْدُ ألفَ بُرهانٍ على ذاك. وَإِنَّما كَتَبَ هذه المقدِّمَة وعُنِي بها حتى جاءَتْ ما جاءَتْ، لِيُعارِضَ بها مقدِّمة حافظ لديوانه الذي نَشَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِقَليلٍ؛ وكانَ لِمُقَدِّمَةِ حافظ هذه حديثٌ طويلٌ، حتى نَسَبَها بعضهم يومئذٍ إلى المُوَيْلِحِي؛ ولكن مقدِّمةَ ديوان الرافعي جاءَتْ بَعْدَها تَقْطَعُ قولَ كُلِّ خَطيبٍ؛ واحْتَفَلَ بها «المؤيد» أَيَّما احتفالٍ فَنَشَرَها في صَدْرِهِ، و «المؤيد» يومَئِذٍ جَرِيدةُ العالم العربي.

---

(١) [هو جورج إبراهيم حنّا].

بين الجديد والقديم:

ثُمَّ بَدَأَ الرّافِعِيُّ يَميلُ عَنِ الشِّعْرِ رُوَيْداً رُوَيْداً حتى هَجَرَهُ مُنْذُ عامَيْنِ، لم يَنْظُمْ فِيهما غَيْرَ قَصِيدَتَيْن اثْنَتَيْن نُشِرَتا لَهُ في مجلة «المقتطف». وَإِنَّها لخَسَارَةٌ كبيرةٌ أَنْ يَنْصَرِفَ الرّافِعِيُّ عَنِ الشِّعْرِ ويَتْرُكَ ميدانَهُ خالِياً.. على أنّه لم يَهْجُرْ غير الشِّعْرِ المنظوم، وهذه كتاباتُه المنثورَةُ ضَرْبٌ من الشِّعْر أَفْسَحُ مدًى وأَبْعَدُ غَايةً، وإنَّهُ لَيُنْشِىءُ بها أَدباً جَدِيداً في العربية على رَغْمِ ما يُتَّهَمُ بالتَّقْليد والمحافظة على القَدِيمِ؛ بل مَعَانِيه كما قال الأستاذ الدكتور منصور فهمي في تقريظه «رسائل الأحزان»: «إنّها مِنْ آخِرِ طرازٍ يَأتي من أُوروبة..» على أنّ الرافِعِيَّ إلى ذلك لَيْس لَهُ حظٌّ من لُغَةٍ أجنبية، ومَعْرِفَتُهُ الفِرَنْسِيّة لا تُجْدِي عليه اليومَ أَكْثَرَ مما كانت تُجْدِي عليه يوم كان يَتَعَلَّمُها بالمدرسة وهو غُلامٌ!.

وللجديدِ والقديمِ حديثٌ طويلٌ في تاريخ الرافعي؛ فهو قَدْ وقف نَفْسَه على الدِّفاعِ عن الدِّينِ والحِفاظِ على لُغَةِ القُرْآنِ. ذلك مَذْهَبٌ دَرَجَ عَلَيْه وأعانَتْهُ عَلَيْهِ نَشْأَتُهُ وتربِيَتُهُ؛ وهل يَأْخُذُ أَحَدٌ عَلَيْهِ هذا المَذْهب أو يُنْكِرُهُ؟.. فَهُوَ إِنّما «يَحرِصُ على اللّغَة لِا من جِهَةِ الحِرْصِ على الدِّينِ، إِذْ لا يزالُ مِنْهُما شَيْءٌ قائِمٌ كالأَساسِ وَالبِنَاءِ، لا منْفَعَةَ فِيهما معاً إلا بِقِيامِهِما معاً...» وَإِنّهُ بِسَبِيلِ ذلك ليسأل: ما ٱلْجَدِيدُ وما القَدِيمُ؟.

لو أَنَّهُم يَعْنُونَ بالجَدِيدِ الابْتِداعَ والطَّرافَةَ بِمِقْدارِ ما يَتَطَوَّرُ الفِكْرُ، أو الإِنشاءَ وَالابْتِكارَ على مقادرِ ما يَنْفَعِلُ الزَّمَنُ في إِحْساسات أَهْلِهِ، أَو التنويعَ وَالخَلْقَ على قِياسِ ما يزيدُ في المعاني وَيَسْتَجِدُّ من ٱنْفِعالاتِ النَّفْسِ ـ لو أَنَّهُمْ يَعْنُونَ بالجَدِيدِ شَيْئاً من ذلك، أَوْ كُلَّ شَيْءٍ من ذَلِكَ، لَوَجَدُوا الرافعيَّ مُجَدِّداً مع المجدِّدين: بَلْ لَما كانَ لِشَيْءٍ من هذا أَنْ يُسَمَّىَ جَدِيداً، لأَنَّهُ حُكْمُ الزَّمَنِ وَسُنَّةُ التَّطَوُّرِ من قَديمٍ.. أَمَّا أَنْ يَكونَ التَّجْدِيدُ هو ٱبْتداعَ لُغَةٍ لَيْسَتْ من اللُّغَةِ، وَإِنشاءَ دِينٍ من شَهَواتِ النَّفْسِ لا مِنْ وَحْيِ السَّماءِ، وَالتزويرَ على التّارِيخ القَدِيمِ باخْتِراعِ تاريخٍ من الأَحْلامِ ـ أَمَّا أَنْ يكون ذَلِكَ كَذَلِكَ فما هو التّجْدِيدُ، ولَكِنَّهُ التَّبدِيدُ الَّذِي يُوشِكُ أَنْ يَتْبَعَهُ الفَناءُ...!

في النقد:

هذا هو الرَّافِعِيُّ في مَوْقِفِه من الجَدِيدِ والقَدِيمِ؛ وما نُحِبُّ أَنْ نَنْتَهِي منه حَتّىٰ نَعْرِضَ لأُسلوبِ الرَّافعي في النَّقْدِ؛ فما نَعْرِفُهُ ناقِداً عَنِيفاً إلا حِينَ يَتَناوَلُ الجديدَ والقَدِيمَ؛ وَإِذَا نَحْنُ تَدَبَّرْنا ما أَسْلَفْتُ من تَلْخِيصِ رَأْيِهِ في الجَدِيدِ والقَدِيم، ومن مِقْدَارِ حماسَتِهِ في الذَّوْدِ عن الدِّينِ والعَرَبِيَّةِ ـ عَرَفْنا لِماذا يُؤْثِرُ الرَّافعيُّ ذلك الأُسْلوبَ العَنِيفَ في مهاجَمَةِ خُصومِهِ والطَّعْنِ عَلَيْهم، إِذْ هُو لا يَعْتَبِرُ حِينئذٍ إلا شَيْئاً واحِداً، هُوَ

الدِّفاعُ عَنِ الدِّينِ وَتُراثِ السَّلَفِ، مُؤْمِناً بأَنَّك «لن تَجِدَ ذا دِخْلةٍ خَبيثَةٍ لِهَذا الدِّينِ إلا وجدتَ له مِثْلَها في اللُّغَـةِ..» وَأَنْتَ لا تَرَىٰ الرَّافِعِيَّ مَرَّةً يَأْخُذُ في أَسْبابِ النَّقْدِ لِيَدْفَع كَيْداً يُرادُ باللُّغَةِ وَالدِّينِ، إلا كما ترى البَدَوِيَّ الثَّائِرَ لعِرْضِهِ، يَطْرَحُ كُلَّ اعتبارٍ مِنْ دُونِ هذا الشَّرَفِ المثْلوم؛ فَمِنْ ثَمَّ يكونُ في كلامِهِ مَعْنى الدَّمِ...

على أَنَّ الرافعيّ إِلىٰ شِدَّتِهِ وعُنْفُوانِهِ، ناقِدٌ بَصِيرٌ بأساليبِ النَّقْدِ، مِمّا عالَجَ مِن مُخْتَلَفِ فنون الأَدَبِ، ووَقَفَ على أسرارِ العربيّةِ؛ مِنْ ذَلِكَ لما كَتَبَ المَرْحومُ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي مقالَتَهُ عَنِ الشُّعراءِ وَنَشَرَها في مجلة (سركيس) سنة ١٩٠٣م، كَتَب المرحومُ حافِظ إبراهيم إلى الرَّافِعِيّ يقولُ: «.... قَدْ وَكَلْتُ أَمْرَ تأدِيبه إِلَيْكَ..!».

وقد تَعْجَبُ أَشَدَّ العَجَبِ أنْ تَرىٰ الرَّافِعِيَّ يَنْسَىٰ حين يُجَرِّدُ قَلَمَهُ لِلنَّقْدِ كُلَّ اعْتِبارٍ مما تَقومُ به الصِّلاتُ بَيْنَ النَّاسِ؛ وَلَكِنَّهُ هو يَعْتَذِرُ مَنْ ذَلِكَ بقَوْلِهِ: «... إِنَّما نَعْمَلُ على إسقاطِ فِكْرَةٍ خَطِرَةٍ، إذا هي قامَتِ اليَوْمَ بفلانٍ الذي نَعْرِفُهُ، فَقَدْ تكونُ غَداً فِيمَنْ لا نَعْرِفُهُ؛ ونَحْنُ نَرُدُّ على هذا وعلى هذا بِرَدٍّ سَواءٍ، لا جَهْلُنا مَن نَجْهَلُهُ يُلَطِّفُ مِنْه، ولا مَعْرِفَتُنا مَنْ نَعْرِفُهُ تُبالِغُ فيه.. فَإِنْ كانَ في أُسْلُوبِنا من الشِّدَّةِ، أو العُنْفِ، أو القَوْلِ

المُؤْلِمِ، أو التَّهَكُّمِ، فما ذلك أَرَدْنا، وَلَكِنّا كَالَّذِي يَصِفُ الرَّجُلَ الضَّالَّ لِيَمْنَعَ المُهْتَدِيَ أَنْ يَضِلَّ، فما بِهِ زَجْرُ الأَوَّلِ، بل عِظَةُ الثَّاني..».

وقَدْ خَسِرَ الرّافِعيُّ كَثِيراً بالإِمْساكِ على مَذْهَبِهِ ذاكَ، ووَضَعَ نَفْسَهُ بِحَيْثُ تَنُوشُهُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ سِهامٌ مُسَدَّدَةٌ، وَأَلَّبَ عليه كَثِيراً مِنَ الخُصُومِ؛ وَلَكِنَّكَ لَنْ تَسْمَعَ مِنْه أَبداً كَلمةَ النَّدَمِ، وتراهُ عَلىٰ تَربُّصٍ دائِمٍ لِكُلِّ «ذِي دَخْلَةٍ للدِّينِ وَالعَرَبية..» وهو ضَرْبٌ من التَّضْحِيَةِ والشَّجَاعَةِ يَدْعو إلىٰ الإعجاب.

وكما تَرَىٰ هذا المَوْقِفَ للرَّافِعِيِّ من دُعاةِ الجَدِيدِ في الأَدَبِ، تَرى لَه مَوْقِفاً قَرِيباً مِنْهُ من دُعاةِ الجديدِ في الأخلاقِ والاجتماعِ؛ فَلَهُ آراءٌ فِي الاخْتِلاطِ، وَالحِجابِ، وَالتَّعْليمِ، وَالحُرِّيَّةِ، وَالحبِّ وَالزَّواجِ؛ تَراها مُنْبَثَّةً في عَدِيدِ الْكُتُبِ والمقالاتِ؛ ولكنَّ قَلِيلاً من القُرَّاءِ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَها بِرُوحٍ مُجَرَّدَةٍ من هَوَىٰ، لِيَعْرِفَ أَيَّ مَذْهَبٍ في الاجْتِماعِ يَدْعُو إِلَيْهِ الرَّافِعي؛ وَلَهُ في هَذِهِ المقالاتِ رُوحٌ رَفَّافَةٌ، وَشِعْرٌ ساحِرٌ، وَحُجَّةٌ قَوِيَّةٌ؛ وَهُوَ فِيها مِنْ أَنْصارِ المَرْأَةِ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ أَيْنَ يَكونُ انْتِصارُ المرأةِ: وَلَسْتَ واجِداً أَحَداً يَرُدُّ عَلَيْهِ رَأْيَهُ في ذاك علىٰ قِلّةِ مَنْ تَجِدُ من أنصارِهِ؛ وقد جَلَسْتُ مرَّةً إلى أديبٍ كبيرٍ وَمُرَبٍّ فاضِلٍ، نُداوِلُ الرَّأْيَ في أَدَبِ الرّافعي ومَذْهَبِهِ

الاجْتماعي، فقالَ لي: «إنَّكَ لَنْ تَجِدَ أَحداً من أنْصارِ الجديدِ يَرْضىٰ هذا المَذْهَبَ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَجِدُ أَحَداً - أَيْضاً - يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصاوِلَ الرَّافِعي في مَيْدانِهِ بِمِثْلِ حُجَّتِهِ وَقُوَّةِ إِقْناعِهِ...».

الرافعي والمرأة:

وَإِذْ تَكَلّمْتُ عَنْ مَذْهَبِ الرَّافِعي في الاجْتِماعِ، فَإِنِّي أَقِفُ قليلاً لأَتَحَدَّثَ عن الرَّافعِيّ وَالمرأةِ.

وَعَجِيبٌ أَنْ يَكُونَ الرَّافعيُّ صاحِبُ «إعجاز القرآن، وأسرار الإعجاز، والبلاغة النبوية، والإنسانيّة العليا، وَسُمُوّ الفقر؛ والمحدِّث، المفسِّر، المتصوِّف، الذي يَصِفُ عَنْ عَصْرِ النبوّة، ومجالس الأئمّة، وكأنَّهُ يَعِيشُ في جَوِّهِمْ وَيَنْقلُ عن حديثهم؛ والّذِي تَتَّصِلُ رُوحُهُ فِيما يَكْتُبُ مِنْ وَراءِ القُرونِ بِرُوحِ الغَزالي، والحَسَنِ البَصْرِي، وَسَعِيد بن المُسيّب، وَغَيْرهم وغَيْرهم من أَئِمْةِ السَّلَفِ - عَجِيبٌ أَنْ يَكُونَ هذا الرافِعيُّ هو صاحِبُ «رَسائِل الأحزان، والسّحاب الأحمر، وأوراق الورد، وسُموّ الحب، واليمامتان، وسحر المرأة، والطائشة» وغَيرِها وغَيْرِها؛ فَيَصِفُ عن المرأةِ وَالحُبِّ، وَيَتَحَدَّثُ في ذلك حَدِيثَ الرَّجُلِ الذي عَرَفَ وذاقَ وجَرَّبَ، ولَبِسَ المَرْأَةَ ولَبِسَتْهُ، واسْتَبْدَلَ قَلْباً بِقَلْبٍ، وَتَقَلَّبَ بين مجالِسٍ ومجالس، وسَمِع (لا) بمعنى (نعم)، وَ (إليكَ عني) في موضع (اتْبَعْني يا حبيبي)؛

والَّذِي يُتَرْجِمُ معنى النَّظْرةِ والابتسامة وما بَعْدهما...!

وإِنَّك لتراهُ أَحْياناً يَمْزُجُ بين حَديثِ الحُبِّ وحَديثِ الدِّينِ، ويَصِلُ بين وَحْي السماء ووَحْي العُيونِ الدُّعْج... فتسأل: أَيُّ رَجُلٍ هُوَ؟.

ولقد خالطْتُهُ زماناً، فإنّي لأَعْرِفُهُ عرفاني لنَفْسِي، فما وَجَدْتُهُ في حالَيْه إلا الرَّجلَ العفَّ الْكَرِيمَ، ولَكِنْ لَهُ عالَماً من وَراءِ هذا العالم، يَصِلُ إِلَيْهِ في سَبحاتٍ فِكْرِيَّةٍ لَطِيفَةٍ، لِيسْتَوْحِيهِ من معاني المَرْأةِ ما لا سَبِيلَ إلى مَعْرِفَتِهِ في دُنْيا النَّاسِ. ولو أَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَهُ مَرَّةً: أَيّ رجلٍ أَنْتَ؟ لما جاءَكَ الجواب إلا أَنَّه رَجُلٌ وَحَسْب...!.

وَتَسْأَلُ نَفْسَكَ: هل عَرَفَ الرافعي الحُبَّ فَخَفَّ بِجَناحَيْهِ إلى تِلْكَ العوالِمِ غير المَنْظورَةِ يَنْقُلُ عنها فلسفة الجمالِ والمرأةِ والحُبِّ...؟ فاستَمِعْ إِلَيْهِ يُقَرِّرُ: «إِنَّ النَّابِغَةَ في الأَدَبِ لا يَتُمُّ تمامُهُ إلا إذا أَحَبَّ وَعَشِقَ...!» ثُمَّ ارْجَعْ إلى كُتُبِهِ الثلاثَةِ: رَسائِلِ الأحزان، والسَّحاب الأحمر، وأَوْراق الورد؛ لِتَعْرفَ «أَنَّها كانَتْ عواطِفَ ثارَتْ وَقتاً ما، لِيَحْدُثَ منها تاريخٌ؛ وسَكَنَتْ بعد ذلك لِيَحْدُثَ مِنْها شِعْرٌ وَكِتابَةٌ...».

ولَكِنْ، مَنْ تكون تلك الفتّانة التي تيَّمَها وَتَيَّمَتْه زَماناً،

«هي بِرَوْعَتِها وَدَلالِها وسِحْرِها، وَهُوَ بِأحْزانِه وَقُوَّتِهِ وَفَلسَفَتِه...؟».

ذلِكَ سِرُّه هُوَ، أَوْ سِرُّها هي...!.

وطنيته:

وَللرَّافِعِي رَأْيٌ في معنى «الوطن الإسْلامي»، والوطنية الإسلامية؛ تَلْمَحُهُ في كَثِيرٍ مِمّا يَكْتُبُ، قوامُهُ «أَنْ يَظْهَرَ المُسْلِمُ الأَوَّلُ بأخْلاقِهِ وفضائِلِهِ في كُلِّ بُقْعةٍ من الدُّنيا مكانَ إنسانِ هذه البُقْعَةِ، لا كما نَرَىٰ اليَوْمَ؛ فإنّ كُلَّ أَرْضٍ إسْلامِيَّةٍ يكادُ لا يَظْهَرُ فيها إلا إنْسانُها التاريخيُّ بجَهْلِهِ وخُرافاتِهِ وما وَرِثَ من القِدَمِ، فَهُنا المُسْلِمُ الفِرْعونيّ، وفي ناحيةِ المسلمُ الوَثَنيّ، وفي بلدِ المسْلِمُ المَجُوسيّ، وفي جهةِ المُسْلِمُ المُعَطِّل... وما يريد الإسلامُ إلا نفسَ المُسْلمِ الإنسْانِيِّ...».

فلا يَمْنع أَنْ يكونَ إلى جانِبِ إحساسه بمعنى «المِصْريّة» إحساس آخر بمعنى «الإسلامية» على أَنَّها الوطَنُ الأَكْبَرُ، كما لا يمنع الطَّنْطاوي أن يكون إلى جانب حُبِّه (طَنْطا) حبٌّ أعمق يشمل «مصر» كُلَّها؛ فإذا تحدثَ الرافعيُّ عن الشّامِ، أو العراق، أو بقعةٍ أخرى من الوطن الإسلاميّ، فما يَعْني ذلك أنه قد خَلَعَ مِصْرِيَّتَهُ.

والوطنُ عند الهَمَجِيِّ دارٌ تُؤْوِيه، وحَقلٌ يُغلُّ عَلَيْه، وكلّما زادَ الإنسانُ في مَعْنى الإنسانية انبسطَتْ له رُقعةُ الوَطَنِ، فَمِنْ ثَمّ كانَ الوَطَنُ فيما يَرَىٰ الإنسانُ المسْلِمُ هو كُلَّ أرْضٍ يَخْفِقُ فيها لواءُ الإسلامِ، وَما مِصْرُ، والعراقُ، والشَّامُ، والمِغْرِبُ، وغيرُها إلا أجزاء صغيرة من هذا الوطَنِ الإسلاميِّ الأكبر، كالأقاليم من الدّوْلَةِ، والمناطق من الأقليم، والشوارع من المنطقة، والدُّور من الشارع، والغرفتَيْن من الدار، حين يتدابَرُ الأَخَوَان وتدبُّ بَيْنَهما الشَّحناءُ الّتي توشِكُ أن تُنْسِيهما أنهما أخوان لأَبٍ وأُمٍّ...!.

٣

إيمانــه:

والرَّافِعِيُّ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ إيمانَ فِكْرٍ وَعَقِيدَةٍ، تُشْرِقُ على قَلْبِهِ وعَقْلِهِ حقائقُ هذا الدِّين، فهي كأَنَّما تأتِيهِ تَلْتَمِسُ في كتابَتِهِ وشِعْرِه حياةً تكونُ بها في النَّاسِ معنًى يَقْدرون على فهمه، إذ لا يَسْتَطِيعون أن يَفْهَموه بأنْفُسِهم، فَمِنْ ثَمَّ تراهُ حِينَ يَكْتُبُ عن الدِّين يتَدَفَّقُ تَدَفُّقَ الْبَحْرِ، وتَتَدافَعُ معانيه تدافع المَوْجِ، وتَزْدَحِمُ أفكارُه ازْدِحام اللُّجَّةِ؛ ومِنْ هُنا تَغْمُضُ معانِيهِ على بَعْضٍ من لم تُشْرِقْ حقائِقُ هذا الدِّينِ على رُوحِهِ وفِكْرِهِ.

وما سَهْلٌ أنْ تَجِدَ كاتِباً غَيْرَ الرافعي يَكْتُبُ بهذا الأسلوبِ في هذه المعاني؛ فَإِنَّكَ لَتَرى إيمانَ أكْثَرِ مَنْ تَعْرِفُ، فِكْرةً يسْتَبِدُّ بها العقلُ المُتَقَلِّبُ، فَهُوَ إيمانٌ مُتَقَلْقِلٌ يَتَنازَعُهُ الشَّكُّ، لا يأخُذُ ولا يَدَعُ إلا بِحَذَرٍ؛ أَوْ تراهُ إيمانَ عَقيدَةٍ مَوْرُوثَةٍ تَسْتَبِدُّ بصاحِبِها استبدادَ الجَهْلِ وَالتَّقْلِيدِ، فَهُوَ إيمانٌ جامِدٌ، لا يَأْخُذُ ولا يَدَعُ إلا ما أُرِيدَ علىٰ أَنْ يَأْخُذَ وَأَنْ يَدَعَ. وَقَلَّما تَجدُ غَيْرَ هذَيْن من يُؤْمِنُ إيمانَ الفِكْرِ والعَقِيدَةِ مَعاً؛ ولو قَدْ وُجِدَ مَنْ يُؤْمِنُ هذا الإيمان، لَرَأَيْتَ الإسْلامَ يَنْبَعِثُ اليَوْمَ كَأَوَّلِهِ، وَلعادَتِ المُعْجِزَةُ الإسلامِيَّةُ تَكْتُبَ فَصْلاً جديداً في تاريخ الإنسانيَّةِ.

وَالرافِعِيُّ بِإِيمانِهِ ذَاكَ يَنْقادُ لِلمَقْدُورِ انْقِيادَ الطَّاعَةِ، واثِقاً أَنْ لا مَفَرَّ للإِنْسانِ مما قُدِرَ عَلَيْهِ؛ فلا تراهُ يَتَبَرَّمُ أو يَتَسَخَّطُ لِشَيْءٍ يَنالُهُ، وَتَسْمَعُهُ يَقولُ: «جِئْنا إلىٰ هَذِهِ الحياةِ غَيْرَ مُخَيَّرِينَ، ونَذْهبُ غير مُخَيَّرين، إنْ طَوْعاً وَإِنْ كَرْهاً؛ فَمُدَّ يَدَكَ بالرِّضَى والمتابَعةِ للأَقْدار أَو انْزَعْها إنْ شِئْتَ، فَإِنَّكَ على الطَّاعَةِ ما أنتَ على الكَرْهِ، وعلى الرِّضَى ما أَنْتَ على الغَضَبِ؛ وَلَنْ تَعرفَ في مذاهِبِ القَدَرِ، إذا أَنْتَ أَقْبَلْتَ أَوْ أَدْبَرْتَ أَيَّ وَجْهَيْكَ هو الوَجْهُ؛ فَقَدْ تَكونُ مُقْبِلاً والمَنْفَعَةُ من وَرائِكَ، أَوْ مُدْبِراً وَالمَنْفَعَةُ أمامَك، وَالقَدَرُ معَ ذلك يَرْمي بِكَ في الجِهَتَيْن أَيِّهِما شاءَ.

وَحَرِيٌّ بِمَنْ يُوقِنُ أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ بذاتِهِ، ألا يَشُكّ في أَنَّه لم يُولَدْ لذاتِهِ، وإنّما هي الغَايَةُ المَقْدُورَةُ المُتَعَيِّنَةُ، فلا الخَلْقُ يَتْرُكونَكَ لِنَفْسِكَ، ولا الخالِقُ تارِكٌ نَفْسَك لَكَ...» فَمِنْ ثَمَّ تَرَىٰ الرَّافِعِيَّ دائماً يُحْسِنُ الظَّنَّ بالغَدِ ويراهُ خَيْرَ أَيَّامِهِ، فَهُوَ يُحاوِلُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ كُلِّ أَلَمٍ ينالُهُ لذَّةً يُشْعِرُ بها نَفْسَهُ، وَمِنْ كُلِّ فادِحَةٍ تَنْزِلُ بِهِ خَيْراً يِتَرَقَّبُهُ وَيُهَيِّءُ لَهُ، وهُوَ يُفْصِحُ عَنْ ذَلِكَ المَعْنَى في مقالاتِهِ: سُمُوّ الفَقر، وحديث قِطَّيْن، وبين خَرُوفَيْن، والانْتِحار، وكتاب المساكين؛ أدقَّ إفصاحٍ وأبلغَهُ.

ولَعَلَّ أَحَداً لا يَعْرِفُ أن الرافعي لا يَرَىٰ في تِلْكَ العِلّةِ الّتِي أَوْدَتْ بِسَمْعِهِ وَهُو غلامٌ بَعْدُ، إلا نعمةً هَيَّأَتْهُ لهذا النُّبوغِ العَقْليّ الذي يُمْلِي به في تاريخ الأدَبِ فَصلاً لم يُكْتَبْ مثْلُهُ في العَربيَّةِ منذ قرونٍ. ولا شَيْءَ غَيْرَ الإيمان بحِكْمَةِ القَدَرِ وقانونِ التَّعْويض، يَجْعَلُ الإنسانَ أَقْوَى على مكافَحةِ أَحْداثِ الزَّمَنِ، فلا تَأْخُذُ مِنْهُ النوازلُ بِقَدْرِ ما تُعْطِيهِ...

حياته الخاصة:

وَبَعْدُ، فأَنا قَدْ رَأَيْتُ الرّافِعِيَّ يَكْتُبُ، وجالَسْتُهُ وهو يُفَكِّرُ، وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ لِيُمْلِي عَلَيَّ، وصَحِبْتُهُ في غَدَواتِهِ وَرَوْحاتِهِ، وأَشْرَكَني في مطالعاتِهِ، وأَخَذ مِنِّي وَأعْطاني؛ فَمِنْ حَقِّ العَربيْةِ عَلَيَّ أَنْ أَصِفَ بَعْضَ ما أَسْتَطِيعُ مِمّا رَأَيْتُ.

وَحَياةُ الرَّافِعِيِّ بَسِيطَةٌ كُلَّ البَساطَةِ؛ فَهُوَ في أَشْيائِهِ بَعِيدٌ كُلَّ البُعْدِ عَنِ التَّأَنّقِ، ولا يَعْتَدُّ بالعُرْفِ اعْتِداداً كَبِيراً. تَراهُ في الدِّيوانِ، وَفي البَيْتِ، وفي الشّارِعِ، وفي القَهْوَةِ ـ رجُلاً كَبَعْضِ مَنْ تَعْرِفُ. ولَوْ أَنَّك ذَهَبْتَ إِلَيْهِ في الدِّيوانِ، وَرَأَيْتَهُ جالِساً إلى مَكْتَبِهِ، يُوَقِّعُ على هذه الوَرَقَةِ، ويراجِعُ تلك الحِسْبَةِ، ويحادِثُ الناس ويحادِثونَهُ... لَشَكَكْتَ أَنْ يكونَ هذا هو الرافِعيّ؛ وقد يُمَيِّزُ مَكْتَبَهُ عن مكاتِبِ غيره من المُوَظَّفِين بِضْعُ صُحُفٍ مَرْكومَةٍ إلى جانِبٍ، أو كتابٌ جديدٌ مسْتَنِدٌ إلى كتابٍ، على أَنَّهُ في عَمَلِهِ معروفٌ بِشِدَّتِهِ وعُنْفُوانِهِ، وَكَثْرةِ دَلالِهِ أَيْضاً...!.

وفي البيتِ قَلَّما تَجِدُ الرافِعيّ إلا جالساً إلى مَكْتَبِهِ مطالِعاً أو كاتِباً، وَتكادُ غُرْفَةُ كُتُبِهِ أَنْ تَكونَ كُلَّ نَصيبِهِ مِنَ الدَّارِ... وَلَهُ صَبْرٌ عَجِيبٌ على العَمَلِ؛ فَهُوَ حِينَ يَجلسُ لِلْمُطالَعَةِ قَدْ يَظَلُّ ثماني ساعاتٍ لا يُزايِلُ مَوْضِعَهُ. ولا يَسْهَرُ خارِجَ الدّارِ عادةً إلا لَيْلَةً أو لَيْلَتَيْنِ في الأُسْبُوعِ، وسائِرُ لياليه عَمَلٌ مسْتَمِرٌّ في الكتابة أوِ المُطَالَعَةِ؛ وَيَنْدُرُ أَنْ يَأْوِيَ إِلىٰ فِراشِهِ لَيْلَةً قبل الثانية عَشْرة؛ وقد كانَ لَهُ عنايَةٌ كَبيرةٌ بالرِّياضَةِ البَدَنِيَّةِ إلى عَهْدٍ قَرِيبٍ، وهو يحاوِلُ مُعْظَمَ تمريناتِ (صاندو) الرِّياضِي المشْهُورِ؛ وتَرَىٰ صورَتَهُ قريبةً من مَكْتَبِهِ، إلى جانِبِ صورة محمد عَبْده، وجَمال الدين، وَ... وَمِلِكَةِ الجمالِ التّركِيّة كَرِيمان هانم خالِص...!.

وَهُوَ لأولادِهِ أَخٌ كَبِيرٌ، لا يَدْخُلُ أَحَدُهُم إِلَيْهِ في مَكْتَبِهِ لِأَمْرٍ إلا داعَبَهُ بِكَلِمَةٍ عَذْبَةٍ أو إشارَةٍ لَطِيفَةٍ، وَلَكِنَّهُ قَلَّما يَدْخُلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُم إلا إذا دَعاهُ، لِتَخْلُو لَهُ جَلْوَتُهُ.

وَإِذا أرادَ الرّافِعيُّ أَنْ يَسْهَرَ لَيْلَةً خارِجَ الدَّارِ؛ فَلَيْسَ إِلا في السِّينَما أَوْ في القَهْوَةِ، وذهابُهُ إلى السِّيْنَما عَمَلٌ أَدَبيٌّ أَيْضاً... فهو لا يميلُ إلا لمشاهدَةِ نَوْعٍ خاصٍّ من الرِّواياتِ الفَنِّيَّةِ، يَكُونُ لَهُ مِنْها مَادّةُ وَحْيٍ.

وَحتّىٰ في القَهْوَةِ لا يُريدُ أَنْ يُمْضِي وَقْتَهُ عَبَثاً؛ فلا بُدَّ مِنْ صُحُفٍ أَوْ كُتُبٍ أو مجلاتٍ، يُمْضِي بها الوَقْتَ، أو يَفْرَغُ منها مع الوَقْتِ؛ فَتَرَاهُ مُكِبّاً على كِتابِهِ، وفي يَمِينِهِ قَلَمٌ يُشِيرُ بِهِ إشاراتِهِ، وَفي يَسارِهِ لَيُّ الكَرْكَرَة[1]، وَفَمُهُ إلى فَمِها، يُبادِلُها أَنْفاساً بأنفاسٍ... فإذا فَرَغَ من الكِتابِ ومن الكَرْكَرَة أَقْبَلَ على جَلِيسِهِ بِحَدِيثٍ عَذْبٍ، أَكْثَرُهُ دُعابَةٌ وَأَقَلُّهُ هَزْلٌ... وَإِذا أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَمِعَ إلى الجِدّ الهازِلِ، أَوِ الهَزْلِ الجادِّ، فَٱجْلِسْ إلى الرّافعي لحظاتٍ...

وَلِصَوْتِهِ رَنَّةٌ عَذْبَةٌ، كانَتْ حُبْسَةً مِنْ مَرَضٍ فعادَتْ لَحْناً

(١) الكركرة: النارجيلة (الشيشة) كما يُسَمِّيها الرافعي، [ولَيُّ الكَرْكَرَة: خرطوم النارجيلة].

من المُوسيقى؛ فَأَنْتَ تُمَيِّزُ صَوْتَهُ بلَهْجَتِهِ ورَنِينِهِ بَيْنَ مِئاتِ الأَصْواتِ. وَلو سَمِعْتَ الرَّافِعيّ خَطِيباً لما حَسِبْتَهُ هو الواقف أمامَكَ يَخْطُبُ؛ فَإِنّ صَوْتَهُ يَعْلُو ويَعْلُو، ويَمْتَدُّ امْتِدادُهُ في الجهاتِ الأَرْبَعِ، ثُمَّ يعودُ إِلَيْكَ عَوْدَ الصَّدَىٰ منْ مكانٍ بَعِيدٍ، أَرَنَّ أَغَنَّ مُنْدَفِعاً مُتَحَمِّساً يُنْسِيكَ الزَّمانَ وَالمَكَان وَالنَّاسَ، فَإِذا أَنْتَ حَيْثُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَكَ. وَلَكِنَّكَ مَعَ الأَسَفِ قَلَّما تَسْمَعُه خَطِيباً، لأَنَّهُ يَجْهَدُ في الخَطابَةِ جُهداً كَبيراً يبْلُغُ مِنْهُ. فهو لا يَخْطُبُ إلا حِينَ يَدْعُو نَفْسَهُ أو يَدْعُوهُ المَوْضوعُ، فَيَحْمِلُ نَفْسَهُ على ما يَكْرَهُ... فإذا دَعَوْتَهُ أَنْتَ أَنْكَرَ على نَفْسِه أَنَّهُ خَطِيبٌ؛ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَعْرِفَ...؟.

وَفي الرّافِعِي كَثِيرٌ مِنَ الاعْتِدادِ بِالنَّفْسِ بِقَدْرِ ما فِيهِ مِنَ التَّواضُعِ، وَلا أَحْسَبُ أَحَداً يُؤْمِنُ باجْتِماعِ هاتَيْنِ الصِّفَتَيْن فِيهِ من جَلْسَةٍ واحِدَةٍ، فَقَدْ يَسْتَقْبِلُكَ لِأَوَّلِ ما يَعْرِفُكَ بِدُعابَةٍ أَوْ نادِرَةٍ، أَوْ يَنْصَرِفُ عَنْكَ إِلىٰ كِتابِهِ، أَوْ يُقْبِلُ عَلَيْكَ في صَمْتٍ وَأَنْتَ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ، أَوْ يَأْخُذُ عَلَيْكَ أَشْتَاتَ الحديثِ فلا يَدَعُ لَكَ أن تَتَكَلَّمَ، فَتَنْصَرِفُ وما عَرَفْتَ إلا لَوْناً واحِداً من أَخْلاقِهِ. وجُلَسَاءُ الرّافِعِيِّ قَلِيلونَ عَلَىٰ كَثْرَةِ مَنْ يَعْرِفُهُم وَيَعْرِفُونَه.

كيف يكتب؟

وهو حِينَ يَهِمُّ أَنْ يَكْتُبَ، يَخْتَارُ مَوْضُوعَهُ، ثَمْ يَتْرُكُهُ

للفِكْرِ يَعْمَلُ فيه عَمَلَهُ، وَلِلْواعِيَةِ الباطِنَةِ أَنْ تُهَيِّيءَ لَه مادَّتَهُ، ويَدَعُهُ كذلك وَقْتاً ما، يَطُولُ أو يَقْصُرُ، يُقَيِّدُ في أَثْنائِهِ خواطِرَهُ؛ لا تكادُ تَفْلَتُ منه خاطِرةٌ؛ وَهُوَ في ذَلِكَ يَسْتَمِدُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مادَّةَ وَحْيٍ، فَكأَنَّ في المَوْجُودِ الّذي يَراهُ صَوْتاً يَسْمَعُهُ، وكأنّ لِمَا يَسْمَعُهُ لَوْناً يراهُ، وكأنّ في كُلِّ شَيْء شَيْئاً زائِداً على حَقِيقَتِهِ، يُمْلي عَلَيْهِ مَعْنىً أَوْ رَأْياً أَوْ فِكْرَةً.

فَإِذَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الخواطِرِ قَدْرٌ كَافٍ، يَأْخُذُ في تَرْتِيبِها مَعْنى إِلىٰ مَعْنىً وَجُمْلَةً إِلىٰ جُمْلَةٍ، وهَذِهِ هي الخطوطُ مِنْ هَيْكَلِ المقالة.

ثُمّ هُوَ يَعُودُ إِلىٰ هَذِهِ الخواطِرِ المُرَتَّبَةِ، يَنْظُرُ فيها، وَيُزَاوِجُ بَيْنَها، وَيَكْشِفُ عَمّا وَراءَها من معانٍ جَدِيدَةٍ وفِكْرٍ جَدِيدٍ؛ ولا يَزالُ هَكَذا يُزَاوِجُ وَيَسْتَوْلِدُ، وَيَسْتَنْتِجُ مِنْ كُلِّ مَعْنىً مَعْنىً، ويَنْفَلِقُ لَه عن كُلِّ رَأيٍ رأيٌ، حتى تَسْتَوِي له المقالَةُ فِكْرَةً تامَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ، فَيَكْتُبُها.

ولا تَراهُ حِينَ يَكْتُبُ أَوْ يُمْلِي يَنْظُرُ إِلىٰ أُصولِ المَقالَةِ بِقَدْرِ ما يَنْظُرُ في أَعْماقِ فِكْرِهِ إِلىٰ ما يَتَّصِلُ بِمَعْنَى ما يَكْتُبُ؛ فَقَدْ يَكُونُ المُمْلَىٰ مِنْهُ صَفْحةً أَوْ صَفْحَتَيْن، فَيُمْلي صَفَحاتٍ وصَفَحاتٍ.

وَمَذْهَبُهُ في الْكِتابَةِ إِعْطاءُ العَرَبِيَّةِ أَكْبَرَ قِسْطٍ مِنَ المَعاني؛ فَهُوَ لا يَكْتُبُ الكِتابَةَ الصحافِيّةَ السُّوقِيّةَ، لأنّ الهَدَفَ الّذِي يَرْمي إِلَيْهِ هُوَ أَنْ يُضِيفَ ثَرْوَةً جيدةً إلى اللُّغَةِ. ولَنْ تَجِدَ كاتباً غَيْرَ الرافعي يَجْهَدُ جُهْدَهُ فيما يَكْتُبُ فلا يحاولُ مَرَّةً أَنْ يَسْخَرَ مِنْ قُرّائِهِ أو يُشَعْوِذَ عَلَيْهم لِيَمْلأَ فَراغاً يُرِيدُ أَنْ يَمْتَلِيءَ.

وَمِيزَةٌ أُخْرَى تَراها في كِتابةِ الرّافعي، هي أَنَّهُ لا يَنْحَرِفُ مَرَّةً واحِدَةً عن مَذْهَبِهِ في المادَّةِ وَالمَوْضُوعِ، فَهُوَ هُوَ مُنْذُ كانَ إلى اليَوْمِ، لَمْ يَرْجِعْ عن رَأْيٍ رَآهُ، أَوْ يُناقِضْ نَفْسَهُ في مَنْهَجٍ ٱبْتَدَعَهُ، وهذا بَعْضُ أسرارِ الإيمانِ في هذا الرَّجُلِ الّذِي لم يُغالِطْ نَفْسَهُ قَطُّ.

وَلَهُ فَلْسَفَةٌ خاصَّةٌ بِهِ، تَعْرِفُ فيها طابَعَهُ، وخُلُقَهُ ومِزاجَهُ، علىٰ حين تَرىٰ أَكْثَرَ فَلْسَفَةِ المُتَفَلْسِفِينَ مِنْ أُدَبائِنا مِزَقاً مُرَقَّعةً من آراءِ فُلانٍ وَفُلانٍ... وَإِنِّي لأَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلاءِ أَكْبَرَ مِنْ كُلِّ فَيْلَسوفٍ في الأَرْضِ، لأَنَّهُمْ وَعُوا في رؤوسِهِمْ آراءَ كُلِّ فلاسِفَةِ الأَرْضِ... ثُمَّ لَمْ يَزِيدُوا...!.

وحَظُّ الرّافِعِي مِنْ لُغَةِ العامَّةِ كَحَظِّهِ من الفِرَنْسِيَّة.. فأَكْثَرُ لُغَتِهِ مِنَ الكُتُبِ، وقد اسْتَغْنَىٰ بالاطِّلاعِ عَنِ الرِّوايَةِ، وَبالقراءَةِ عن المُدارَسَةِ والاسْتِماعِ؛ وهُوَ مَعَ ذَلِكَ قد يَصْنَعُ أغاني شَعْبيةً بَديعةً، بالِغةَ الغَايَةَ في بلاغَةِ العامِّيّةِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَنْحَرِفَ في

ذلك عن أسلوبِهِ في البَيانِ العَرَبيِّ وطريقَتِهِ في تَوْلِيدِ المعَاني؛ وَلَعَلّ قُرّاء «الرسالة» لم يَزالُوا يَذْكُرون لَهُ «أُغْنِيَة الزَّبَّالِ» وَتراهُ إذْ يحاوِلُ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ يَرْجعُ إليّ لِيَسْألني عن كَلِمَةٍ أو تَعْبيرٍ مما يَنْطِقُ العامَّةُ؛ فأقومُ حِينَئِذٍ منه مقامَ قاموسِ العامِيَّة..

وهُوَ مَعَ ذَلِكَ لا يرىٰ أَكْثَرَ ما تَكْتُبُ الصُّحُفُ إلا عامِّيَّةً رَاقِيَةً... فهو يَشْكُو دائِماً الجَوَّ العامِيَّ الّذي يَحُوطُهُ، فَكَيْفَ به لو كانَ يَسْمَعُ لَغْوَ النَّاسِ...؟ وَمِنْ ثَمَّ لا يَهُمُّ الرافِعِيُّ أَنْ يَكْتُبَ إلا حاول جاهِداً أنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ هذا الجَوِّ الّذي كانَ فِيهِ، فَيَرْجِعُ إلى بَعْضِ كُتُبِ العَرَبِيَّةِ يَقْرَأُ مِنْهَا صفحاتٍ كما تَتَّفِقُ، لِيَعيشَ لحظةً قَبْلَ الْكِتابَةِ في بِيئَةٍ عَرَبِيَّةٍ فَصِيحَةِ اللِّسانِ، وخَيْرُ ما يَقْرَأُ في هذا البابِ كِتاباتُ الجاحِظِ وَٱبْنِ المُقَفَّعِ. وَأَحبُّ الكُتُبِ إلَيْهِ مِنْ بَعْدُ، كتابُ «الأغاني» لأبي الفَرَجِ.

ولكتابَةِ الرَّافعي جَرْسٌ مُوسِيقِيٌّ خاصٌّ تَتَمَيَّزُ به، حَتَّى ما يُمْلِيهِ علىٰ عَجَلٍ بلا إعدادٍ ولا تَوْلِيدٍ؛ وَكَثِيراً ما يُمْلي بلا إعْدادٍ صفحاتٍ وصفحاتٍ، وقَدْ أَمْلَىٰ عَلَيَّ مَرَّةً مقالاً طَوِيلاً في الرَّدِّ على بَعْضِ الأدباءِ، اسْتَغْرَقَ تِسْعةَ أعْمِدَةٍ من صَحِيفَةٍ يَوْمِيَّةٍ، على حين لَمْ يَسْتَغْرِقْ إملاؤه ساعات؛ وَلَعَلَّ تَعبي في كتابَتِهِ كانَ أَكْثَرَ من تَعَبِهِ في إمْلائِهِ...!.

وَالرّافِعِيُّ علىٰ ما يُبْدِعُ في كتابَتِهِ، لا يَرىٰ ما كَتَبَهُ يُرْضِيهِ بَعْدَ الفَراغِ مِنْه بِساعاتٍ، فَهُوَ دَائماً يَطْلُبُ الأَعْلَىٰ؛ وَهُوَ نَوْعٌ من التَّواضُعِ وَنَوْعٌ مِنَ الطُّموحِ في وَقْتٍ مَعاً...!.

وَيُتَّهَمُ الرَّافِعِي بِالغُمُوضِ أَحْياناً؛ وَلَيْسَ ثَمَّةَ غُموضٍ فِيما يَكْتُبُ إِلّا عِنْدَ مَنْ لَمْ يَتَزَوَّدْ مِنَ الأَدَبِ الصَّحِيحِ، أَوْ يَتَعَوَّدْ قِراءَةَ أَدَبِ الرّافِعِي؛ على أَنَّ كِتابَتَهُ في مَجْموعِها لا تَصِلُ إِلىٰ نَفْسِ قارِئِها إِلا أَنْ يَقْرَأَها قراءَةَ الشِّعْرِ، بِعَقْلِهِ وَرُوحِهِ، لا قراءَةَ القِصَصِ والرِّواياتِ، يُفَتِّشُ بِعَيْنَيْهِ بين السُّطورِ عن مَعْنَى يُسَلِّيهِ، أَوْ حادِثَةٍ يُزْجِي بها الفَراغ... وَنَصِيحَتِي إِلىٰ الّذِين يَطْلُبونَ التسْلِيَةَ في الأَدَبِ، أَلّا يَقْرَءوا كُتَبَ الرّافِعِي، فإنها لَنْ تُجْدِي عَلَيْهِم شَيْئاً...!.

وقد يَطْلُبُ إِلَيْه الكَثِيرُ مِنْ ناشِئَةِ الأَدَبِ أَنْ يَجْعَلَ أَدَبَهُ أَهْوَنَ مِمّا هُوَ أَوْ أَقلَّ دَسماً، فَيَأْبىٰ أَنْ يَنْزِلَ إِلىٰ ذاكَ؛ وَمَذْهَبُهُ أَنْ يُحاولَ جَذْبَ الجُمهورِ إِلىٰ أَعْلَى، بَدَلَ أَنْ يَتَدَلىٰ هُوَ إلى الجمهورِ، وَأَنَ يَكْتُبَ ما يُرْضِي الفَنَّ لا ما يُرْضِي النَّاسَ. على أَنَّهُ لَوْ أرادَ الرافِعِيُّ أَنْ يَنْزِلَ لما اسْتطاعَ أَنْ يَنْزِلَ إِلا أنْ يَصِيرَ شَيْئاً غَير الرافعي، لأَنَّهُ على مِقْدارِ عُمْقِ الفِكْرَةِ، يَكُونُ عُمْقُ الصُّورَةِ اللُّغويَّةِ التي تَتَأَدّىٰ بها، ولَنْ يَسْتَطِيعَ كاتِبٌ مِنَ الكُتّابِ ـ فيما أَرىٰ ـ أَنْ يُرْضِي الفن وَيُرْضِي الجُمهورَ في وَقْتٍ واحِدٍ،

حَتَّى لو كانَ يَكْتُبُ بِلُغَةِ العامَّةِ، فَإِنَّ الْكِتابَةَ لُغَةٌ وَفِكْرٌ، أَفَتراهُ إِنْ كَتَبَ بِلُغَةِ العامَّةِ، يَكْتُبُ أَيْضاً بأفْكارِ العامَّةِ...؟

وقَدْ أَخَذَ الرَّافِعيُّ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عَامٍ يَكْتُبُ في «الرسالة» نَوْعاً أحْسَبُه جَدِيداً في الأَدَبِ العَربيِّ، جَمَعَ إلىٰ الرّافِعي طائِفَةً من القُرَّاءِ لَمْ يَكُونوا يَقْرَؤُونَ لَهُ، وَعَرّفَهُ إلىٰ الّذِين لَمْ يَكُونوا يَعْرِفُونَهُ إلَّا مِنْ خِلالِ ما يَكْتُبُ عَنْهُ خُصومُهُ. ولا أدلَّ على قِيمَةِ هَذِه المقالاتِ، مِنْ تَرْجَمَةِ بَعْضِها إلى غَيْرِ العَرَبيّةِ، على ما في تَرْجَمَةِ كِتَابةِ الرَّافِعِي من عُنْفٍ وَمَشَقَّةٍ!.

وأذْكُرُ أَنْ بَعْضَ المسْتَشْرِقِين الألمان يُعْنَىٰ بوضع كتابٍ بالإنكليزية عن «زُعماء الأدب العربي الحديث» بِمعاوَنةِ الأستاذِ طاهِر الخميري المَغْرِبي، وقد وَضع الجزْءَ الأوّلَ منه عن خَمْسةٍ مِنْ كِبارِ كُتَّابِنا. فَلَمَّا قَرأَ مقالاتِ الأستاذ الرافعي في «الرسالة»، كَتَبَ إِلَيْهِ مُنْذُ قَرِيبٍ رسالةً طويلَةً يُثْني عَلَيْه ثناءً بالغاً، ويَعِدُهُ بأنْ يُصَحِّحَ أغلاطَهُ في الجزْءِ الثاني من الْكِتابِ...!.

الرافعي القصصي:

لم يَكُنِ الأُستاذ الرَّافِعيّ مَعْرُوفاً بكتابَةِ القِصَّةِ، حَتَّىٰ جاءَتْ قِصَصُه في «الرسالة» بُرْهاناً على نَوْعٍ جديدٍ من عَبْقَرِيَّتِهِ، وهو يَرْوي أَكْثَرَها عن السَّلَفِ من الأئمة والخُلفاءِ، فما مَنْزِلَةُ

هذه القِصَصِ من الحقائق التاريخِيَّةِ؟... هذا سُؤَالٌ أَحْسَبُ الكَثِيرَ من القُرّاء يَنْتَظِرُ الجوابَ عَنْه؛ ذَلِكَ لأَنّ كَثِيراً منهم لا يَرَىٰ للرّافِعي فيها يَداً إِلّا أَنْ يُجَلِّيها لِوَقْتِها. وَأَيُّ يَدٍ هَذِهِ..؟

وَطَرِيقَةُ الرّافِعِي في كِتَابَةِ هذا القِصَصِ غَرِيبَةٌ، فَمُعْظَمُهُ لا أساسَ له مِنَ الواقِعِ، أَوْ أَنّ لَهُ أساساً لا يُلْهِمُ هَذِهِ القِصَصَ الطِّوالَ البَدِيعَةَ في خَيالِها وَمَوْضوعِها وَفَنِّها، وَإِنَّما هُوَ يُفَكِّرُ في مَوْضوعِ الحِكْمَةِ التي يُريدُ أَنْ يُلْقِيها على أَلْسِنَةِ التَّارِيخ - على طريقَتِهِ في تأليفِ مَقالاتِهِ - فَإِذَا ٱنْتَهَىٰ إلى ذَلِكَ تَناولَ كِتاباً من كُتُبِ التَّراجِمِ الْكَثِيرَةِ بين يَدَيْهِ، فَيَقْرَأُ مِنْه ما يَتَّفِقُ حتى يَعْثَرَ باسْمٍ ما، فَيَدْرُسُ تاريخَهُ، وَبِيئَتَهُ، وَخِلاّنَهُ، وَمجالِسَهُ، ثم يَصْنَعُ مِنْ ذَلِكَ قِصَّةً لا تزيدُ على سُطورٍ، يَجْعَلُها كالبَدْءِ وَالخِتَامِ لموضوعِهِ الذي أَعَدَّهُ من قَبْلُ، وَإِنَّهُ لَيُلْهَمُ أحياناً وَيُوَفَّقُ في ذلك تَوْفِيقاً عَجِيباً، حَتَّى تَأْتِيَ القِصَّةُ وَكأَنَّها بِنْتُ التَّاريخِ، وما لِلتَّاريخِ فيها إلا سُطُورٌ، أَوْ إِلّا أَسْماءُ الرِّجالِ....

على أَنَّ وَجْهَ الإِبْداعِ في ذَلِكَ، هُوَ قُدْرَةُ الرَّافِعِيِّ علىٰ أَنْ يَعِيشَ بِخَيالِهِ في كُلِّ عَصْرٍ من عُصُورِ التَّارِيخ، فَيُحِسُّ إِحساسَهُ وَيَتكلَّمُ بِلِسانِ أَهْلِهِ، حَتَّى لا يَشُكَّ مَنْ يَقْرَؤُها في أَنّها كُلّها صَحِيحَةٌ مِنَ الأَلِفِ إلى الياءِ...

فَلْيَزِدْنا الرَّافِعِيُّ من هذا البابِ لِيُعَرِّفَ دُعاةَ الجَدِيدِ أيَّ

رَجُلٍ هُوَ من رجالاتِ العربيَّةِ، وَما أَشُكُّ أَنَّ هذا النَّوْعَ من الأَدَبِ سَيَكونُ لَهُ فَصْلٌ بعنوانِهِ في تاريخ الأَدَبِ الحديثِ.

أَرانِي قَدْ أَطَلْتُ وَما اسْتَوْفَيْتُ، على أَنِّي ما قَصَدْتُ إلى دِراسَةِ الرَّافِعِي، وَإِنَّما هُوَ إِلْمامٌ سَرِيعٌ بِبَعْضِ جوانِبِهِ، على مِقْدارِ ما يَتَهَيَّأُ في الذّاكرة من الخواطِرِ لِوَقْتِها، فَمَعْذِرَةٌ، وَإِلىٰ اللِّقاءِ بَعْد جَمَامٍ....

طنطا

محمد سعيد العُريان

كل ما سطر
هي المقالات الثلاث
التي تكلم عنها الحاجري
ص ١٣

أعلن صاحب مجلة «الرسالة» وفاة مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى في أول عدد تلا هذه الوفاة، وهو العدد: ٢٠٢، ٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٦ هـ = ١٧ مايو / أيار ١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحات: ٨٠١ ـ ٨٠٢.

أورد أولاً معلومات عن حياة أحمد حسن الزيات رحمه الله تعالى، ثم أتبعها نص المقالة.

* * *

مصطفى صادق الرافعي

بقلم:
أحمد حسن الزيات

التعريف

بأحمد حسن الزيّات[١]

(١٣٠٢ ـ ١٣٨٨ هـ = ١٨٨٥ ـ ١٣/٦/١٩٦٨م)

من هو ـ أديب مصري، كاتب، صحفي، ومربّ، وعَلَمٌ من أعلام الأدب العربي وصاحب مدرسة أدبية كبرى هي مدرسة «الرسالة»، ولد في قرية من قرى مركز طلخا تسمى: كفير دميرة القديم بالقرب من المنصورة. تلقى علومه في الأزهر مدة ١٠ سنوات، فكان فيه أحد ثلاثة أقاموا مدرسة التمرد على القديم، هم: طه حسين ـ الزيّات ـ ومحمود زناتي، ثم انتقل إلى الجامعة المصرية القديمة فتلقى فيها العلوم الحديثة، ثم زاول التعليم بمدارس الفرير حيث تعلم الفرنسية، ودخل مدرسة الحقوق الفرنسية فدرس الحقوق، وأدى الامتحان النهائي بباريس. ثم انتقل من الفرير إلى المدرسة الإعدادية الثانوية، ثم عُين رئيساً لقسم اللغة العربية بالجامعة الأميركية في القاهرة. وفي سنة ١٩٢٩م، عُين أستاذاً للأدب العربي في دار المعلمين العليا في بغداد، وبعد ثلاث سنوات عاد إلى القاهرة حيث أصدر مجلة «الرسالة» سنة ١٩٣٢م، التي

(١) نقلاً عن «مصادر الدراسة الأدبية» ليوسف أسعد داغر، ٣/٥٠٧ ـ ٥١٠.

ظلت تصدر مدى عشرين سنة. فكانت «الرسالة» خلال هذه الفترة، المجلة الأدبية الأولى في الشرق، هيأت جيلاً كاملاً من الأدباء، لها أثرها البعيد في تطوير الأدب العربي الحديث. وكان من أثر الزيّات في «الرسالة» أن خلق مدرسة جديدة في الأدب تُعنى باللفظ المؤنق والعبارة العالية. اشترك في تحريرها نخبة ممتازة من أقطاب الفكر والأدب والعلم فكان لها أثر فعال في نمو الحياة الفكرية في المشرق العربي، كما كانت مصدراً من مصادر اليقظة الوطنية.

كان عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، كما كان عضواً في مجمع اللغة العربية والمجمع العربي بدمشق. كرّمته الدولة فأهدته عام ١٩٦٢م، جائزتها التقديرية في الأدب مع ميدالية ذهبية.

ساهم في تحرير كثير من المجلات والصحف الأدبية، منها «الجريدة» التي كان يصدرها أحمد لطفي السيد، ومجلة «مصر الفتاة» و «السياسة الأسبوعية»، وجريدة «الشعب»، ثم أشرف على تحرير مجلة «الأزهر» بعد وفاة فريد وجدي، وذلك من شهر صفر ١٣٧٢ هـ إلى شوال ١٣٧٤ هـ.

مؤلفاتــه:

- «آلام فرتر» (ترجمة عن غوتيه) ـ القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠م، ص ١٨١.

نقده أحمد فتحي في الرسالة، مجلد ٨ (١٩٤٠ م): ١٣٧.

ـ «تاريخ الأدب العربي» للمدارس الثانوية والعليا، طبعة ١ ـ القاهرة ١٩٢٧ م ط ٢ القاهرة، مطبعة الاعتماد، ص ٣١٣، ط ٤، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥م، ص ٥٣٥.

نقده سليم الجندي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلد ١١ ص ٥٢٨ ـ ٥٣٨.

نقده في مجلة المجمع، مجلد ٧: ١٨٤.

نقده مصطفى جواد في لغة العرب (للأب أنستاس ماري الكرملي ـ بغداد)، مجلد ٩: ٢٣١، و ٢٨٧ و ٣٦٧ و ٤٥٧ و ٦٠٩ و ٦٩٦.

ـ «دفاع عن البلاغة» ـ القاهرة، مطبعة مجلة الرسالة، ١٩٤٥م، ص ١٦٤، (فيه عرض عام لآراء في الأدب والبلاغة واتصالهما بحياتنا الأدبية المعاصرة).

نقدته بنت الشاطىء في مجلة الكتاب، مجلد ١: ٣٦٩.

نقده أحمد فؤاد الأهواني في المقتطف، مجلد ١٠٧: ٣٨٠.

ـ «في أصول الأدب»: محاضرات ومقالات في الأدب العربي ـ القاهرة، ط ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥م، ص ٢١٨ ـ ط ٢، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٢٤٢.

ـ «من الأدب الفرنسي: قصائد وأقاصيص لأمراء الشعراء والنثر، لامرتين، هوغو، شاتوبريان، غي دو موباسان» ـ القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٤٠ م.

ـ «مأساة الشاعر وضّاح». مثال من الإنشاء العالي... مما

جرى بين: محمد بهجة الأثري وأحمد حسن الزيّات ـ بغداد، مطبعة العهد، ١٩٣٥م، ص ٥٣.

ـ «محاضرات في الفلسفة»، تأليف أندريه لالند، ترجمة... ويوسف كرم ـ القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٢٩ م.

ـ «في ضوء القمر وقصص أخرى» ـ القاهرة، ١٩٦٢ م (مترجمة عن الفرنسية).

ـ «ألوان من الأدب والتاريخ وقصص من حياتي» ـ القاهرة، ١٩٦٢ م.

ـ الرسالة. مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون، مجلد ١ ـ ٢١ (١٩٣٣/١/١٥ ـ ١٩٥٣/٢/٢٣م)، القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٣٣ ـ ١٩٥٣ م.

ـ الرواية: مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ ـ القاهرة، سبتمبر ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ م (ظهرت ٣ سنوات).

ـ «وحي الرسالة. فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع»، ٣ مجلدات القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٤٠ ـ ١٩٤٤ م. هو مختصر من مجلة الرسالة

راجع فيه كلمة جريدة «الأهرام» ومجلة «الشعلة» في الرسالة مجلد ٨. (١٩٤٠م): ٥٦.

نقده زكي مبارك في الرسالة، مجلد ٨ (١٩٤٠م): ٩١٥ و ١٧٠٤ ـ ١٧٠٨.

نقده إسماعيل أدهم في الرسالة، مجلد ٨: ٩٥٤.

نقده توفيق الحكيم في الرسالة ٨ (١٩٤٠م): ٥٥٦.

نقده المقتطف ٣/ ١٩٤٠، ج ٩٦، ص ٣٤٦.

نقده مصطفى الصباحي في الرسالة ٨ (١٩٤٠م): ٢٣٩.

نقده بشر فارس في الرسالة ٨: ٣١٩.

نقده خليل مطران في الرسالة ٨: ١٥٧٠.

مصادر ومراجع:

- جمال الدين الآلوسي ـ أحمد حسن الزيّات، صاحب الرسالة ـ بغداد، ١٩٦٨ م.
- أنور الجندي ـ أضواء على حياة الأدباء المعاصرين: ٤ ـ ٥٤ (مصورة).
- هذا مذهبي: ٦١.
- خلدون الوهابي ـ مراجع تراجم الأدباء العرب ١: ٢٦٩.
- محمد خلف الله ـ من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده: ٢٣ و ١٥١.
- ماجد الأتاسي ـ الأخلاق والأدب الوجداني الرفيع في كتابي: آلام فرتر ورافائيل ـ الرسالة، عدد ٢٧٤: ١٦٢٥.
- محمد أمين حسونة ـ في الأدب المصري. أعلام المدرسة الحديثة. تراجم ودراسات أدبية مستفيضة ـ أحمد حسن الزيّات ـ مجلة الحديث ٧: ٢٩٧.
- أحمد اللبان ـ مجلتنا «الرواية» و «الرسالة» في الغربال ـ المشكوف، عدد ١٢٢: ٧ وعدد ١٢٥: ١٢.

- الزيّات ولجنة إنهاض اللغة العربية ـ الرسالة عدد ٢٦٨: ١٣٩٤، وعدد ٢٦٩: ١٤٠.
- الأديب، تموز ١٩٦٨م، ص ٦١.
- جمال الدين الرمادي ـ أحمد حسن الزيّات صاحب مدرسة الرسالة ـ قافلة الزيت، عدد ١ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٦٨م، ص ١٧ ـ ١٨ (مصورة).
- مهدي علام ـ أحمد حسن الزيّات ـ مجلة معهد البحوث والدراسات العربية (مصر) ـ العدد الأول ١٩٦٥م.

* * *

مصطفى صادق الرافعي

أحمد حسن الزيّات

شَدِيدٌ على «الرِّسالَةِ» أَنْ تَنْعىٰ الرَّافعيَّ إِلَىٰ ديارِ الحَنِيفَةِ وَأقطارِ العُروبَة بَدَلَ أَنْ تَزُفَّ إِلَيْها كعادَتِها دُرَّةً من غَوْصِ فِكْرِهِ وَآيَةً مِنْ وَحْيِ قَلَمِهِ! وَعَزِيزٌ علىٰ هَذا القَلَمِ أَنْ يَتَقَطَّرَ سَوادُهُ على الرَّافعيِّ وهو نُورُهُ في مِدادِهِ، وسَنَدُهُ في جِهادِهِ، وصَدِيقُهُ في شِدَّتِه! وَعَظِيمٌ علىٰ العالَمِ الأَدَبِيِّ أَنْ يُرْزَأَ في الرَّافعي وَهُوَ الطَّرِيقَةُ المُثْلَىٰ لِغايَةِ الناشِىءِ، والمَثَلُ الأَسْمَىٰ لِطُمُوحِ الأَدِيبِ، وَالحُجَّةُ العُلْيا على قُصُورِ القاصِرِ!.

يَالِلّهِ!! أَفِي لَحْظَةٍ عابِرَةٍ من صباحِ يوم الاثنين الماضي يَلْفُظُ الرَّافِعِيُّ نَفَسَهُ في طوايا الغَيْبِ كَوَمْضَةِ البَرْقِ لَفَّها اللَّيْلُ، وقَطْرَةِ النَّدَىٰ شَرِبَتْها الشَّمْسُ، وَوَرَقَةِ الشَّجَرِ أطاحَها الخَرِيفُ؛ ثُمَّ لا يَبْقَىٰ من هذا القَلْبِ الجَيَّاشِ، وهذا الشُّعُورِ المُرْهَفِ، وذلك الذِّهْنِ الوَلودِ، إِلا كَما يَبْقَىٰ من النُّورِ في العَيْنِ، وَمِنَ السُّرُورِ في الحِسِّ، وَمِن الحُلُمِ في الذَّاكِرَةِ!!.

كانَ الرَّافِعِيُّ يَكْرَهُ مَوْتَ العافِيَةِ فماتَ بِهِ: أَرْسَلَ إِلَيَّ قَبْلَ مَوْتِهِ الفاجِيءِ بساعاتِ كتابَهُ الأَخِيرَ يَشْكُو فِيه بَعْضَ الوَهَنِ في

أعْصابِهِ، وَأثَرَ الرُّكودِ في قَريحَتِهِ؛ وَيَقْتَرِحُ عليَّ نِظاماً جَديداً لِلْعَمَلِ يَجِدُ فيه الرَّاحَةَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إلى المَعاشِ فَيَقْصُرَ جُهْدَهُ علىٰ الأَدَبِ؛ ثُمَّ يَسْرُدُ في إيجازٍ عَزائِمَهُ وَنواياه، وَيَعِدُ المُسْتَقْبَلَ البَعيدَ بالإِنْتاجِ الخَصْبِ وَالثَمَرِ المُخْتَلِفِ؛ وَيَقُولُ: «إِنَّ بِنْيَتِي الوَثِيقَةَ وَقَلْبِي القَوِي سَيَتَغَالبَان على هَذا الضَّعْفِ الطارِئ فَأَصْمُدُ إِلىٰ حَمْلَةِ التَّطْهِيرِ الَّتِي أُرِيدُها...».

كَتَبَ الرّافِعيُّ إِليَّ هَذَا الكِتابَ في صباح الأَحَدِ، وَتَوَلَّىٰ القَدَرُ عَنِّي الجوابَ في صباح الاثْنَيْنِ: قَضَىٰ الصَّدِيقُ العامِلُ الآمِلُ اللَّيلَةَ الفاصِلَةَ بين ذَيْنَكِ اليَوْمَيْنِ على خَيْرِ ما يَقْضِيها الرَّخِيُّ الآمِنُ على صِحَّتِهِ وَغِبْطَتِهِ: صَلّىٰ العِشاءَ في عِيادَةِ وَلَدِهِ الدكتور مُحمّد؛ ثُمَّ أَقْبَلَ على بَعْضِ أَصْحابِهِ هناك فجلا عَنْهُمْ صَدَأَ الفُتورِ بحديثِهِ الفَكِهِ ومَزْحِهِ المُهذَّبِ؛ ثُمَّ خَرَجَ فَقَضى واجِبَ العزَاءِ لِبَعْضِ الجِيرَةِ؛ ثُمَّ ذَهَبَ وَحْدَهُ إلى مُتَنَزَّهِ المَدِينَةِ فَٱسْتَرَاضَ فِيهِ طَوِيلاً بالمَشْي والتّأَمُّلِ؛ ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ مَوْهِنٍ مِنَ اللَّيْلِ إلىٰ دارِهِ، فأكَلَ بَعْضَ الأَكْلِ، ثم أَوَىٰ إلى مَضْجَعِهِ.

وفي الساعة الخامِسَةِ ٱسْتَيْقَظَ، فَصَلَّى الفَجْرَ وَهُوَ يَجِدُ في جَوْفِهِ حَزَّةً كانت تَعْتادُهُ مِنْ حمُوضَةِ الطَّعَامِ. فلمَّا فَرَغَ، دَخَلَ عَلى وَلَدِهِ الطَّبِيبِ، فَسقاهُ دَواءً، ثُمَّ عادَ فَنامَ. وهَبَّ مِنْ نومِهِ في مُنْتَصَفِ السَّاعَةِ السابِعَةِ، وخَرَجَ يُرِيدُ الحمَّامَ؛ فَسَقط

وَاحَسْرَتاهُ من دُونِهِ سَقْطَةً هَمَدَ فيها جَسَدُهُ، فلا صوتَ ولا حَرَكَةَ! وذَهَبَ الرافِعِيُّ ذو اللِّسانِ الجبّارِ وَالذِّكْرِ الدَّوّارِ وَالأَثَرِ المُنْتَشِرِ، ذهابَ الحُباب، كأَنَّهُ لم يَمْلأْ مسامِعَ الدَّهْر، ولم يَشْغَلْ مَدارِكَ النَّاس زُهاءَ أَرْبَعِين سنةً!.

كان آباءُ الرَّافِعِي شُيوخُ الحَنَفِيّةِ في مِصْرَ، تَوَلَّوا قَضاءَها وإفتاءَها وَإقْراءَها حِقْبةً طويلةً من الدَّهْرِ؛ فَدَرَجَ هذا النّاشِئُ الصالِحُ في حُجورِ أَرْبَعينَ قاضِياً من قُضاةِ الشَّرِيعَةِ كانُوا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وقد نَوَّهَ بهم اللّورد كُرُومر في بَعْضِ تقارِيرِهِ. وكانَ أَبُوهُ الشيخ عَبْد الرّازِق الرّافِعي قَدْ جَرَىٰ على أَعْراقِ هَذِهِ الأُسْرَةِ الكَرِيمَةِ مِنْ وَرَع القَلْبِ وَصِحَّة الدِّينِ وَسلامَةِ الضّمِيرِ؛ ثم تَميَّزَ في قَضائِهِ بِمَرارَةِ الحَقِّ وصلابَةِ الرَّأْي وَثَباتِ العَقِيدَةِ، فجاء مُصْطَفَى في كلِّ ذلك صورةَ أُسْرَتِهِ وَسِرَّ أَبيهِ.

لَمْ يَذْهَبِ الرافعيُّ إلى الأَزْهَر، فقد كانَ في أَزْهَرِ من قومِهِ؛ وإنَّما نَشَأَ في مَغْداي وَمَراحي بَيْن طَلْخا والمَنْصُورَة أَفَنْدِياً يَتَلَقَّى معارِفَهُ الأُولى بمدرسة الفرير، وَيَتَخَرَّجُ في علوم اللسان والشَّريعَةِ على أبيهِ، حتى حَذَقَ العربيةَ وفَقِهَ الدِّين وثَقُفَ الأَدَبَ وأَصْبَحَ فارِساً في الحَلْبَتَيْنِ ولما يَعدّ العشْرِينَ. فلَمَّا بَلَغَ ربيعَ العُمُر خَتَمَ اللّهُ على سَمْعِهِ بالصَّمَمِ الشَّدِيد، فكان مُنْذ شبابِهِ الأَوّلِ بِنَجْوَةٍ من لَغْوِ النَّاس ولَغَطِ المجْتَمَع،

فَسَلِمَ عَقْلُهُ من السُّخْفِ، وبَرِىءَ ذوقُهُ من التَّبَذُّل؛ وعاشَ في عالم الخيال ودُنْيا الكُتُبِ، فاتَّسَعَ أُفُقِ تفكيرِهِ، وٱرْتَفَع مِقياسُ فَنِّهِ، وظلَّتْ طبيعَتُهُ البشريَّةُ على الكُهُولة نَقِيَّةً حُرَّةً كطبيعَةِ الفَتَى الشابِلِ، فيها الغَضَبُ الحادُّ، والرِضَىٰ الهَشّ، والدَّلال المُتَعظِّم، والهوى الجَموحُ، والفُتُوَّةُ الأَبِيَّة. فهو يُخْلِصُ في الحُبِّ وَيَصْدُق في البُغْضِ، فلا يداوِرُ ولا يُداري، ولا يَحْقِدُ ولا يَحْسُدُ.

عَمِلَتْ في الرّافِعِيِّ عوامِلُ الوِراثَةِ وَالبيئَةِ والدِّراسَة والعاهَةِ؛ وٱتَّفَقَ لَهُ من كُلِّ أولئك ما لم يَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ، فكانَ أَفْقَهَ العُلماءِ في دِينِهِ، وأَعْلَم الأُدباءِ بِلُغَتِهِ، وواحِدَ الآحادِ في فَنِّهِ. والدِّيْن وَاللُّغَةُ والأَدَبُ هي عناصِرُ شَخْصِيَّتِهِ وروافِدُ عَقْلِيَّتِهِ وطوابِعُ وُجودِهِ. لِذَلِكَ كان يَقِظَ الرَّأْي، شاهِدَ الحِسِّ لما يَعْلَقُ بِثلاثَتِها مِنْ أباطيلَ وَشُبَهِ. وَعَبْقَرِيّاتُ المُصْطَفى إنَّما كانَتْ تَتَنَزَّلُ على قَلَمِهِ المُرْسَل حين تَمْتَدُّ الأَفِيكَةُ إلى كتابِ اللّهِ أو إلى لُغَةِ العَرَبِ أو إلى أَدَبِ الرَّافعي.

الرَّافعيُّ أمَّةٌ وحْده، لها وُجودُها المسْتَقِلُّ، وعالَمُها المُنْفَرِدُ، ومَزاجُها الخَاصّ. وَأَكْثَرُ الّذين كَرِهُوهُ هُمُ الّذِين جَهِلوه: كَرِهَهُ الأُدباء لأَنَّهُ أَصْحَرَ لهم بالخُصومَةِ فٱنْفَرَجَتِ الحالُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَهُ. وَكَرِهَهُ المُتَأَدِّبونَ لأَنَّهُ رَفَعَ مِقْياسَ الأَدَبِ فَوَسَمَهُمْ بالعَجْزِ عَنْهُ. وأَنْكَرَهُ العامَّةُ لأَنَّ الأَمْرَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَهُ

كالأَمْرِ بين العَمَى والنُّور! إِنَّما يُحِبُّ الرافِعيَّ ويَبْكِيه مَنْ عَرَفَ وَحْيَ اللّهِ في قُرآنِه، وفهم إعجازَ الفَنِّ في بيانِهِ، وَأَدْرَكَ سِرَّ العَقيدَةِ في إيمانِهِ.

ذلك بَعْضُ الرّافِعيّ الإنسان؛ أمّا الرافعيُّ الفنّان فَمَوْعِدُكَ به خُمودُ الحزْنِ وَٱنْكسارُ المُصيبَةِ.

أحمد حسن الزيات

* * *

بَعْدَ المَوْتِ

ماذَا أُريدُ أَنْ يُقالَ عَنِّي؟

بقلم:

مصطفى صادق الرافعيّ

بَعْدَ المَوْتِ
ماذَا أُريدُ أَنْ يُقالَ عَنِّي؟

بقلم المرحوم الأستاذ
مصطفى صادق الرافعيّ(*)

سأَلَه محرِّرُ «الدُّنْيا» منذُ شَهْرَيْن هذا السؤال، فكَتَب إِلَيْه هذا المقالَ:

ما هي الكلماتُ الّتي تُقالُ عَنِ الحَيِّ بعد مَوْتِهِ إلا تَرْجَمَةُ أَعْماله في كلماتٍ؟ فَمنْ عَرَفَ حقيقةَ الحياةِ عَرَفَ أَنَّهُ فيها لِيُهَيِّءَ لِنَفسِهِ ما يُحْسِنُ أَنْ يَأْخُذَهُ، وَيُعِدَّ للنَّاسِ ما يَحْسُنَ أَنْ يَتْرُكَهُ، فإِنَّ الأَعمالَ أشياءٌ حقيقِيَّةٌ لها صُوَرُها الموجودَةُ وَإِنْ كانَتْ لا تُرىٰ.

وبَعْدَ المَوْتِ يقولُ النَّاسُ أَقوالَ ضمائِرِهم لا أَقوالَ أَلْسِنَتِهِمْ، إِذْ تَنْقَطِعُ مادَّةُ العَداوَةِ بِذَهابِ مَنْ كانَ عَدُوّاً، وتَخْلُص معاني الصَّداقَةِ بِفَقْدِ الصَّدِيقِ، ويَرْتَفِعُ الحَسَدُ بِمَوْتِ المَحْسُودِ، وتَبْطُلُ المجامَلَةُ باخْتِفاءِ مَنْ يجامِلونَهُ وتَبْقىٰ الأعمالُ تُنَبِّهُ إلى

(*) نُشرَ في «الرسالة» العدد: ٢٠٣، ١٤ شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٦هـ = ٢٤ مايو/أيار سنة ١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحة: ٨٦٢.

قِيمَةِ عامِلِها، وَيَفْرَغُ المَكانُ فَيَدُلُّ على قَدْرِ مَنْ كان فِيهِ، ويَنْتَزِعُ مِن الزَّمَنِ لَيْلَ المَيْتِ وَنهارَهُ، فَيَذْهَبُ ٱسْمُهُ عَن شَخْصِهِ ويَبْقَى على أَعْمالِهِ.

ومِنْ هُنا كانَ المَوْتُ أصْدَقَ وَأَتَمَّ ما يُعَرِّفُ النَّاسَ بالنَّاسِ، وَكانَتِ الْكَلِمَةُ بَعْدَهُ عَنِ المَيْتِ خالِصَةً مُصَفَّاةً لا يَشُوبُها كَذِبُ الدُّنيا على إنْسانِها، ولا كَذِبُ الإنْسانِ على دُنْياهُ، وَهِيَ الكَلِمَةُ الَّتِي لا تُقالُ إلّا في النِّهايَةِ، ومِنْ أَجْلِ ذلك تَجِيءُ وَفيها نهايَةُ ما تُضْمِرُ النَّفْسُ للنَّفْسِ.

وماذا يَقولونَ اليَوْمَ عَنْ هذا الضَّعِيفِ؟ وماذا تَكْتُبُ الصُّحُفُ؟.

هذه كلماتٌ مِنْ أقوالِهِمْ: حُجَّةُ العَرَبِ، مُؤَيِّدُ الدِّين، حارِسُ لُغَةِ القُرْآن، صَدْرُ البيانِ العربي، الأدِيبُ الإمام، مُعْجِزَةُ الأَدَبِ؛ إلى آخِرِ ما يَطَّرِدُ في هذا النَّسَقِ، ويَنْطَوي في هذه الجُمْلَةِ. فَسَيُقالُ هذا كُلُّهُ، ولكن باللَّهْفَةِ لا بِالإعْجاب، وَللتّارِيخِ لا للتَّقْرِيظِ، وَلِمَنْفَعَةِ الأَدَبِ لا لِمَنْفَعَةِ الأَدِيب. ثُمَّ لا يكونُ كلاماً كالّذِي يُقالُ على الأَرْضِ يَتَغيَّرُ ويَتَبَدَّلُ، بل كلاماً خُتِمَ عليه بالخاتَمِ الأَبَدِيِّ، وَكأَنَّما ماتَ قائِلوهُ كما ماتَ الّذِي قِيلَ فِيهِ.

أَمّا أَنا، فماذَا تَرَىٰ روُحِي وَهِيَ في الغَمامِ وقَدْ أَصْبَحَ الشَّيْءُ عِنْدَها لا يُسَمَّىٰ شَيْئاً؟ إِنَّها سَتَرَى هذه الأقوالَ كُلَّها فارِغَةً من المعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ الّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ، لا تَفْهَمُ مِنْها شَيْئاً إلا مَعْنىٰ واحِداً هُوَ حَرَكَةُ نَفْسِ القائِلِ، وخَفْقَةُ ضَمِيرِهِ. فَشعُورُ القَلْبِ المُتَأَثِّرِ هُوَ وحْدُه. اللّغةُ المَفْهومَةُ بين الحَيِّ والمَيْتِ.

سَتَرى رُوحي أَنَّ هؤلاء الناس جَمِيعاً كالأشْجارِ المُنْبَعِثَةِ من الترابِ عاليةً فَوْقَه وثابِتَةً فيه، وسَتَبْحَثُ مِنْهُم لا عن الجُذُوعِ والأغْصانِ والأوْراقِ والظّاهِر والباطِنِ، بل عَنْ شَيْءٍ واحِدٍ هو هذه الثَّمَرَةُ السماوية المُسَمَّاةُ القَلْبُ، وَكُلِّ كَلِمَةِ دعاءٍ وكلمة تَرَحُّمٍ وكلمة خَيْرٍ. ذَلِكَ هو ما تَذُوقُهُ الرُّوحُ من حلاوَةِ هذه الثَّمرةِ.

مصطفى صادق الرافعي

* * *

مِنْ كَلامِ الرَّافِعي(*)

قِيلَ له رَحِمَه اللّهُ: هَلْ تَكْرَهُ المَوْتَ؟

فقال: لا! بَلْ أَكْرَهُ ذُنوبي، أَمَّا الموتُ فَهُوَ اكْتِشافُ العالَمِ الأَكْبَرِ، نَسْأَلُ اللّهَ حُسْنَ الخاتِمَةِ.

وقِيلَ لَهُ: ما هِي وَصِيَّتُكَ إذا حَضَرَتْكَ الوَفاةُ؟.

فقالَ: هِي تَكْرارُ المَبْدأِ الّذِي وضَعْتُهُ لأَوْلادِي:

النَّجاحُ لا يَنْفَعُنا بل يَنْفَعُنا الامتيازُ في النَّجاحِ.

(*) نُشِرَ في «الرسالة» العدد: ٢٠٣، ١٤ شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٦هـ = ٢٤ مايو/أيار سنة ١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحة ٨٦٢.

كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ

للأستاذ
مصطفى صادق الرافعي

١

١ ـ نحن من التَّنظير بَيْن المَدَنِيَّتَيْن الأُوربيّة والإِسلامية، كأَنَّنَا بإزاءِ جوادَيْن، أَحَدُهما مُخَلَّىٰ له الطَّريق إلى غايَتِهِ، والآخَرُ يُضْرَبُ وَجْهُهُ مَرَّةً ويُصْرَفُ بالعوائِقِ مَرَّةً؛ وَمَعَ ذلك يُقابَلُ بَيْنَهُما في السِّباق! لو حَكَمَ الشَّرْقُ أُورُبة لَظَهَرَ جَوادُها حِماراً..

* * *

٢ ـ أَرْبعة آلافِ كلمةٍ في الثَّرْثرةِ، أَقَلُّ مِنْ أَرْبَعِ كلماتٍ في الحكمة.

* * *

٣ ـ لا تَغْضبْ مِنْ حماقَةِ ٱمرأةٍ تُحِبُّها، ولا تَغْضَبِي مِنْ حماقَةِ رَجُلٍ تحبِّينَهُ، وَإِلّا فَأَيْنَ تَدُسُّ الحياةُ سُمَّها إلا في أَلَذِّ أَطْعِمَتِها؟.

* * *

٤ ـ يَموتُ الحَيُّ شَيْئاً فَشَيْئاً؛ وَحِينَ لا يَبْقَى فيه ما يموتُ، يُقالُ: ماتَ...

* * *

٥ ـ قَضَتِ الحياةُ أَنْ يكونَ النَّصْرُ لِمَنْ يَحْتَمِلُ الضَّربَات لا لِمَنْ يَضْرِبُها.

* * *

٦ ـ غَلَب رجُلٌ على امرأةٍ كانَتْ تَهْواهُ وجَعَلَ يُباهي بما صَنَعَ، فَقُلْتُ لَهُ: يا هَذا! إِنَّ مِنَ السُّخْرِيَة أَنْ تَزْعُمَ أَنْك تَعِبْتَ في فَتْحِ بابٍ مفتوحٍ...

* * *

٧ ـ حتَّىٰ الإرادَة؛ هي في الذُّكورِ مُذَكَّرةٌ، وفي الأَناثِ مُؤَنَّثةٌ؛ فَعِنْدما يَغْلِبُ سِحْرُ الحقيقة الّتي في الرَّجُلِ علىٰ الحقيقةِ التي في المرأة، تَلْتَمِسُ المرأةُ إرادَتَها لِتَعُوذَ بها فلا تَجِدُها إلا صورة.. فإذا امْتَنَعتْ كانتْ في صُورَةِ امْتِناعٍ على اسْتِجابة، وَإِذا غَضِبَتْ كانَتْ في صُورةِ غَضَبٍ على رِضىٰ. وَلِهذا ما يَكْرَهُ بَعْضُهُن الحجابَ فَإِنّهُ يُذَكِّرُهُنْ تأنِيث الإرادة ويُبْعِدُهُنَّ ويُحَذِّرُهُنَّ؛ ويَا شُؤْمَ مَنْ إذا نَجَتْ من ذلك الخَطَرِ نَجَتْ كارِهةً...

* * *

٨ ـ هُناك حُبٌّ يَسْمو ولا يزال يَسْمُو؛ إِذْ يكون المحبوبُ فيه مع المُحِبِّ كالتَّرْجُمان مع السَّائح؛ ذلك حُبُّ بَعْضِ الشعراء لِبَعْضِ الأجسامِ المُتَرْجَمة.

* * *

٩ ـ تكون الأمانيُّ مَرّةً كَسْبَ أفكارِنا ومرَّةً لصوصِيَّةَ أفكارِنا!....

* * *

١٠ ـ يَنْفُرُ الإِنْسانُ من الكَلِمَة التي تحْكُمُهُ، ولكِنَّهُ في الحبِّ لا يَبْحَثُ إِلا عن الكَلِمَةِ التي تَحْكُمُهُ.

* * *

١١ ـ مَنْ خُلِقَ بَطلاً فلا عَجَبَ أَنْ تُوجِدَ له الأَقدارُ دَائماً مِنْ كُلِّ ما حَوْله مادَّةَ حَرْبٍ، مِئَةٌ من مِئَةٍ في التَّوَكُّلِ على اللّهِ تكون مئةً من مئة في النَّجاحِ؛ ولكن تِسْعة وتسعين من المئةِ في التوكل لا تكون إلا خَيْبَةً محقَّقَةً.

* * *

١٢ ـ هل أَسْتَطيعُ أَيَّتُها الجميلةُ السَّوْداءُ أَنْ أَقولَ في وصف خَدَّيكِ: إِنَّهُما في حُمْرَةِ الوَرْدِ؟ فلماذا تَغْضَبينَ إذا قُلْتُ: إِنَّهما في الْتماع الزَّيْتُون الأسودِ..؟ وَأَنْتَ أَيَّتُها الحسناءُ المُتَكَبِّرةُ السَّخِيفَةُ! لماذا تَغْضَبِينَ إِذا رأيتُ في قَلْبِكِ الزَّيْتونَ ولم أَرَ الوَرْدَ؟.

* * *

١٣ ـ في بَعْضِ أحوالِ الحُبِّ، تكونُ العواطِفُ المُحِبَّةُ لَكَ في الباطِنِ هي المعادية لَكَ في الظاهِرِ.

* * *

١٤ ـ لا يَسْعَدُ أَحَدٌ بشعورِ غَيْرِه؛ وَطَبيعيٌّ أَنْ يَكُونَ هذا هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ السَّعادَةَ مُمْكِنةً في النَّاسِ؛ وَلَكِنَّ العجيبَ أَنَّهُ هو الّذي يَجْعَلُها غَيْرَ مُمْكِنَةٍ، إذ لا يريدُ كُلُّ إِنسانٍ لِنَفْسِهِ إلا شعورَ غَيْرِهِ.

* * *

١٥ ـ النَّاسُ يزاحِمونَ في الدنيا لأَجْسامِهِم، فإِمَّا بؤْسٌ وإمّا سَعادَةٌ، والحكماءُ والمحبُّونَ يزاحِمُون لأرواحِهِم، فإِما بُؤْسانِ وإما سعادَتانِ.

* * *

١٦ ـ ما أظرفَها كانَتْ وأبْلَغَها حين قالَتْ لي: ألا تَنْظُرَ ثانياً فَتَفْهَمَ ثالثاً..؟.

* * *

١٧ ـ يُخَيَّلُ إليَّ وَاللّهِ أَنَّ قَلْبَ المرأةِ امرأةٌ مَعَها؛ فإِمَّا أَنْ تَأْخُذَها نَكْبَتَيْن أو مَعُونَتَيْن.

* * *

١٨ ـ فَلْسَفَتي أنّ الكِبْرياءَ على المُتَكَبِّرين هو أَعْلىٰ التَّواضُعِ.

* * *

١٩ ـ مصادَفَةُ التَّعِسِ حَظّاً تحتاجُ في اتِّفاقها إلى مصادَفةٍ تجيءُ بِها.

* * *

٢٠ ـ تَسْتطيعُ أَنْ تقولُ في كلِّ نابغةٍ عظيمٍ: إِنَّهُ أَذْكىٰ البُلَداء.. فإنْ كَذَّبكَ الناسُ لَمْ يُكَذِّبْكَ هو.

* * *

٢١ ـ المُودَّةُ القَويَّةُ تَتَحمَّلُ العتابَ والمحاسَبَةَ لِتُثْبِتَ أَنَّها قَوِيَّةٌ.

* * *

٢٢ ـ الحَبُّ يُخرِجُ مِنْ نَفْسِكَ شَخْصاً غَيْرَكَ، والبُغْضُ يُخْرِجُ من هذا الشخص غَيْرَهُ، فتُحِبّ بنَفْسَيْن وتُبْغِضُ بثَلاثٍ.

* * *

٢٣ ـ إنْ رَضِيَ المُحِبُّ قالَ في الحبيبِ أَحْسَنَ ما يَعْرِفُ، وما لا يَعْرفُ؛ وإنْ غَضِبَ قال فيه أَسْواَ ما يَعْرِفُ، وما لا يَعْرِفُ، وَما لا يمكن أَنْ يَعْرِفَ.

* * *

٢٤ ـ إِذَا رأيتَ كُبراءَ قَوْمٍ هَمُّهُمْ عَيْشُهُم؛ فَٱعْلَمْ أَنَّها أُمَّةٌ مَأْكولَةٌ. فلو شَهَرَتِ السَّيْفَ الماضِي لقاتَلَ بِرُوحِ مِلْعقةٍ.. ولو رَعَدَتْ بالأُسطولِ الجبَّارِ لَصَلْصَلَ كآنِيَةِ المَطْبَخِ...

* * *

٢٥ ـ لم تَعُدِ التَّربيةُ في كُلِّ أُمَّةٍ تَربيةً للنّاسِ ولكن للمَطامِعِ؛ فما يكْبُرُ جيلٌ إلا كَبُرَتْ معه الحربُ...

* * *

٢٦ ـ يُرادُ من التجمُّلِ الصِّناعي حين تُبالِغُ فيه المرأةُ أَنْ يَخِفَّ فَيَثْقُل؛ ويرادُ من الجمال الطبيعي أن يَخِفَّ فيزداد خِفَّةً...

* * *

٢٧ ـ مِنَ النِّساءِ مَنْ إذا رَأيتها حَسِبْتَ روحَها زَجاجةً مُلِئتْ عِطْراً؛ وَمِنْهُنَّ مَنْ إذا رَأَيْتَها حَسِبْتَ رُوحَها زُجاجةً مُلِئتْ زَيْتَ خَرْوَعٍ....

* * *

٢٨ ـ أَوَّلُ فَلْسَفَةِ الشَّرِيعة في الزَّواج أَنَّه حَصْرُ المعاني البهيمِيَّة من كُلِّ رَجُلٍ وامرأَةٍ في الرَّجُلِ والمرأة بذاتَيْهِما. فآخِرُ فلسفة الشريعة في الزّواج أَنَّهُ إِذا عَمَّ وَٱنْتَظَمَ تراجَعتْ بهيمِيَّةُ العالَمِ فصَغُرَتْ وصَغُرَتْ حتى تكونَ كأَنَّها في ٱثْنَيْنِ فقط...

* * *

٢٩ ـ إِذا سأَلْتَ السِّياسيَّ الداهِيَةَ فَسَكَتَ عن الجوابِ، فَقد قالَ لكَ قولاً...

* * *

٣٠ ـ مَنْ لَا يَمْلِكُ على الأَرْض شَيْئاً يَمْلِكُ على الأقلِّ أنْ يَفْرَحَ وَأن يَحْزَنَ...

* * *

٣١ ـ ماتَ وأَصْبَحَ كأنْ لم يُوجَدْ، ومَعَ ذَلِكَ فقد وُجِدَ، ومع ذَلِكَ فكأنْ لم يوجَدْ. إِنْ خَرَجَ مِنْ هذا التركيبِ المَنْطِقِيِّ مَعْنى يثبت في الفَهْمِ، كانَ للحياة في الفَهْمِ معنى ثابِتٌ...

* * *

٣٢ ـ أَيا غاضِباً مِنْ صُرُوفِ القَضَا
بِنَفْسِكَ تَعْنُفُ لا بِالقَدَرْ
وَيا ضارِباً صَخْرَةً بِالعَصَا
ضَرَبْتَ العَصا أَمْ ضَرَبْتَ الحَجَرْ؟

* * *

٢

٣٣ ـ رُبَّ قانونٍ تُحكَمُ به أُمَّةٌ؛ ولو أَنَّهُمْ حاكَمُوه لاعتبروه كالشُّروع في قَتْلِ هذه الأُمَّةِ.

* * *

٣٤ ـ إذا كانَ القاضِي صاحِبَ دِينٍ وذكاءٍ وفَهْمٍ وضَمِير؛ فكثيراً ما يَرى نفسَه مَحْكوماً عَلَيْه أَنْ يَحْكُمَ على الناسِ...

* * *

٣٥ ـ أَصْبَحَتِ الأَخْلاقُ الشَّرْقِيَّةُ في هذه المَدَنِيَّةِ الفاسِدَةِ كَمَرْقَعَةِ الفَقِيرِ المُعْدِمِ، حَيْثَ لا تَجِدُ رُقْعَةً لا بُدَّ أَنْ تَجِدَ فَتْقاً...

* * *

٣٦ ـ أَضْيَعُ الأُمَمِ أُمَّةٌ يَخْتَلِفُ أَبْناؤُها. فَكَيْفَ بِمَنْ يَخْتَلِفونَ حتى في كَيْفَ يَخْتَلِفونَ...؟

* * *

٣٧ ـ من مُضْحِكاتِ السِّياسَةِ إنشاؤُها أَحْزاباً يَقُومُ بَعْضُها كما تُغْرَسُ الخَشَبَةُ لتكونَ شَجَرَةً مُثْمِرَةً...

* * *

٣٨ ـ يَأتي الغُرورُ من ضَعْفِ النَّظَرِ إِلىٰ الحقيقَةِ؛ لو أَنَّ للنَّمْلَةِ عَيْناً وسُئِلَتْ عن الذّبابَةِ: كَيْفَ تراها؟ لقالت: هَذا فِيلٌ عَظِيمٌ...

* * *

٣٩ ـ في الضَّرُوراتِ السِّياسِيَّةِ لا يَحْفِلُ أَهْلُ السِّياسَةِ أَنْ يَصْدُقوا أَوْ يَكْذِبُوا فيما يُعْلِنونَ إلى النَّاسِ؛ وَلَكِنَّ أَكْبَرَ هَمِّهم أَنْ يُقَدِّموا دائماً الكَلِمَةَ الملائِمَةَ للوَقْتِ.

* * *

٤٠ ـ إذا كانَتِ المصْلَحةُ في السياسَةِ هي المَبْدأُ؛ فَمَعْنَى ذلك أَنَّ عَدَمَ المَبْدَأ هو في ذاتِهِ مَصْلَحَةُ السِّياسَةِ.

* * *

٤١ ـ لَيْس الفَقْرُ ٱخْتِلالاً في الناس؛ إنّ الفَقْرَ على التَّحْقِيق هو اختلالٌ في القوانِينَ.

* * *

٤٢ ـ مَعْنى فَرْضِ الزّكاة في الشّرِيعَة الإسلامية أَنَّ أَفْقَرَ الصّعاليك في الدُّنْيا له أَنْ يقولَ لأعظَمِ مُلوكِ المالِ: قَدِّمْ لي دفاتِرَكَ...

* * *

٤٣ ـ مَثَلُ مَذْهَبِ الاشتراكيَّة في وَهْمِ توزيع المالِ، ومَذْهَبِ الإسلام في الزكاة، مَثَلُ رَجُلَيْن مَرَّ أَحَدُهما بغَرِيقٍ يَخْتَبِطُ في اللُّجِّ، فاسْتغاثَهُ الغَريقُ، فَنَظَر، فإذا حَبْلٌ مُلْقَى على الشّاطِىءِ، ولكنَّه صاحَ بالهالِكِ: أَنْتَ وَاللّهِ في نَفَسِي أَكْبَرُ مَنْزِلةً مِنْ أَنْ أُخْرِجَك بالحَبْلِ، فَأنا ذاهِبٌ أَبْحَثُ لك عن زَوْرَقٍ... ومَرَّ الثاني فألقىٰ له الحَبْلَ فَنَجا.

* * *

٤٤ ـ التَّمَدُّنُ والفَقْرُ كصاحِبَيْنِ مَعاً: ذِي رِجْلَيْنِ وأعْرجَ يَمْشِيانِ في طريقٍ؛ كلَّما انْفَسَحَتْ خُطُواتُ الأَوَّلِ زادَتْ عَثَراتُ الآخَرِ.

* * *

٤٥ ـ التِلِسْكوبُ العَظيمُ في اسْتِكشافِ معاني الحبِّ قد يَكونُ دَمْعَةً.

* * *

٤٦ ـ يَنْظُرُ الحُبُّ دائماً بِعَيْنٍ واحُدَةٍ، فَيَرىٰ جانِباً وَيَعْمَىٰ عن جانِبٍ؛ ولا يَنْظُرُ بعَيْنَيْهِ معاً إلا حِينَ يُرِيدُ أنْ يَتَبيَّنَ طريقَهُ لِيَنْصَرِفَ...

* * *

٤٧ ـ تَتَكَبَّرُ المرأةُ على كُلِّ ما يُشْعِرُها بضَعْفِها؛ فَمِنْ هُنا تَبْلُغُ المرأةُ آخِرَ كِبْريائِها في أوائِلِ حُبِّها.

* * *

٤٨ ـ إذا صاحَبْتَ عاشقاً فلَيْسَ لَكَ أَن تَبْدأَهُ كُلَّما لَقِيتَه إلا بأحِدِ سؤالين: ما هي خُرافَتُك اليَوْمَ؟ أو ما هي حماقَتُكَ اليَوْمَ...؟.

* * *

٤٩ ـ مَتَى نَظَرَتِ المرأةُ إلى رَجُلٍ تُعْجَبُ به كانت نظراتُها الأُولى مُتَحيِّرَةً قَلِقَةً غيرَ مُطْمَئِنَةٍ؛ مَعْناها: هَل هُوَ أنت؟

فإذا داخَلَها الحبُّ واطمأَنَّتْ جاءَت نظراتُها مُسْتَرْسِلةً مُتَدَلِّلَةً، مُتَأَنِّثَةً، معناها: هو أنت.

* * *

٥٠ ـ لا يَضْحَكُ الحَيْوانُ إذْ كان لا يَفْهمُ إلا فَهْماً واحداً؛ وَيَضْحَكُ الإنسانُ لأنه حُرِمَ هذا الفَهْمَ الواحِدَ. أهو البلاءُ وعلاجُه؛ أم النِّعْمَةُ وبلاؤُها؛ أم هذا مرةً وهذه مرَّةً؟

* * *

٥١ ـ لا يُكثِرُ الضَّحِكَ إلا الأَبْلَهُ الّذي يَفْهَمُ الشَّيْءَ فَهْماً يَمْسَخُهُ شَيْئاً آخر؛ وَإلَّا العاميُّ الفارِغُ الذي لا يَفْهَمُ الأشياءَ إلا مَمْسوخَةً؛ وإلا الفَيْلَسوفُ الساخِرُ المُرَكَّبُ في طباعِهِ من الفَيْلَسوفِ والأَبْلَهِ والعامي...

* * *

٥٢ ـ يَمْنَعُ الهمُّ ونحوهُ من الضَّحِكِ إذْ كانَتْ هذه حقائِقَ صريحةً في النَّفس لا تُفْهَمُ أَبداً على وَجْهَيْن.

* * *

٥٣ ـ لا تكونُ امرأةٌ معشوقَةَ رَجُلٍ إلا وَهُوَ يراها وَحْدَها النساءَ جميعاً؛ ولا يكونُ رَجُلٌ معشوقَ امرأةٍ إلا وَهي تراهُ وحدَه كُلَّ الرجالِ. فالحبُّ وَحْدانيةٌ لا تَقْبَلُ الشِّرْكَ، ومِنْ هَهُنا يَتَأَلَّهُ. ضلال نعوذ بالله منه

* * *

٥٤ ـ يُولَدُ المولودُ من رَجُلٍ وامْرأةٍ ولن يكونَ من ثلاثَةٍ؛ ولهذا لن يكونَ في الحب الصَّحيحِ ثلاثةٌ أَبداً.

* * *

٥٥ ـ قد تُحِبُّ المرأةُ رَجُلَيْن، أو يُحبُّ الرجلُ ٱمرأَتَيْنِ، ولكن هذا لَيْس حُبّاً، إنْ هو إلا كِبَرٌ في العَرَبَة جَعَلَها تحتاجُ إلى جوادَيْن...

* * *

٥٦ ـ لَعَلَّ من حِكَمِ الحِجابِ في الإسلام أَنَّ العِشْقَ إذا ٱنْتَهى إلى الزَّواج فَقَلَّما يكونُ إلا تمهيداً لولادَةِ إفراطٍ عَصبيٍّ في قُوَّةٍ أَوْ ضَعْفٍ أو بَلادةٍ أو... أو رَذيلةٍ.

* * *

٥٧ ـ ٱبْنُ المرأةِ العَجوزِ عجوزٌ حتى في الطُّفولَةِ، وٱبْنُ الشابَّةِ شابٌّ حتى في الكُهولة؛ فيا ضَيْعَةَ الإنسانية مِنْ تأْخِيرِ الزَّواجِ!.

* * *

٥٨ ـ أكْثَرُ النِّساءِ على أَنّ نِصْفَ الذَّكاءِ الساحرِ في الرجلِ ينبغي أَنْ يكونَ في عَقْلِهِ، ويكون النّصفُ الآخرُ في البنك..

* * *

٥٩ ـ عِنْدما تَكونُ الساعةُ هي ساعةَ ٱنْتظارِ الشّيْءِ المحبوبِ، يَكونُ قَلْبُ المُنْتَظِرِ من زَحْمةِ الدّقائق كالذي يشُقُّ طريقاً زَاحَمَهُ النّاسُ فيهِ.

* * *

٦٠ ـ الذَّلِيلُ في رَأْيِ الحُبِّ مَن إذا هَجَرَتْهُ المَرْأَةُ كانَ هَجْرُها إيَّاهُ عُقُوبَتَهُ، وَالعَزِيزُ في رأي الحبّ مَنْ إذا هَجَرَتْهُ المرأةُ كانَ هَجْرُها إيّاهُ عُقوبَتَها.

* * *

٦١ ـ الْيَوْمُ الذي يكونُ قَلْبياً مَحْضاً يبقىٰ له دائِماً باقٍ لا يَنتَهي؛ ولهذا لا يزالُ الحُبُّ الطاهِرُ كأَنَّهُ في بَقِيَّةٍ من أوَّلِهِ مَهْما تَقَادَمَ.

* * *

٦٢ ـ لا يَعْرِفُ الطِّفْلُ تاريخَهُ من الزَّمَنِ وما فيه، ولَكِنْ مِنْ بَيْتِ أهْلِهِ ومَن فيهِ؛ فأمسِ واليومُ وغَداً هي كلُّها عنده أمسِ الذي يكبَرُ شيئاً فشيئاً... ابنُ الطفولة إنما هو ابنُ حالةٍ من حالاتِ الحياة لا ابنُ زَمَنٍ، وهذا سرُّ السَّعادةِ.

* * *

٦٣ ـ يا لَها عجيبة! إنَّ الصوفيَّ إذا فازَ في حُبِّهِ الإلٰهي رأىٰ نفسَه باقياً في الزمَنِ بلا بقاءٍ يَعْلَمهُ، وفانياً عن الزمن بلا فَناءٍ يشعرُ به؛ وذلك بعينه ما يراه العاشِقُ إذا خابَ في حُبِّهِ الإنسانيِّ...

* * *

٦٤ ـ الفَرْقُ بين كاتِبٍ مُتَعَفِّفٍ وبين كاتِب مُتَعَهِّرٍ أنَّ الأَوَّل مُثْقَلٌ بواجِبٍ، والآخر مُثْقَلٌ به ذلك الواجِبُ...

* * *

٦٥ ـ كانَتِ الشَّفَقَةُ هي الأصلَ في كل موضِعِ ٱسْتِهزاءٍ فما نستهزئُ إلا بِخَطإٍ أَوْ ضعفٍ أَوْ عَجْزٍ؛ وَلكنَّ شُعورَ الحيوانِ بِقُدْرَتِهِ على حيوانٍ آخَرَ، أَوْ بٱنتصارِهِ، أَوْ بٱمتيازِهِ؛ هو في الإنسانِ أَصْلُ ذلك الاستهزاء.

* * *

٦٦ ـ كما يَضُرُّ أَهْلُ الشَّرِّ غَيْرَهم إِذا عَمِلوا الشَّرَّ، يَضرُّ أهلُ الخَيْرِ غَيْرَهُم إِذا لم يَعْمَلُوا الخَيْرَ.

* * *

٣

٦٧ ـ إذا أَسْنَدَتِ الأمةُ مناصِبَها الكبيرةَ إِلى صِغَارِ النُّفوسِ، كَبُرَتْ بها رَذائِلُهم لا نُفُوسُهُمْ...

* * *

٦٨ ـ شَرُّ المُصْلِحين رَجُلٌ مُسَلَّطٌ على أُمَّةٍ يَحْكُمُها بعَقْلٍ كبيرٍ فيه موضِعُ فِكْرةٍ مجنونة[١]...

* * *

(١) كَفِكْرَةِ إِسقاطِ الدِّين مثلاً، أو هدم اللُّغة، أو تقليد أُوربة بعَيْنٍ عوراء... أَو دَفع المرأة في سبيل الإباحة... الخ.

٦٩ ـ إذا فَسَقَ الحاكمُ، فقد حَكَمَ الفسْقُ.

* * *

٧٠ ـ تُبْتَلى الأُمَمُ أحياناً ببعض المُجدِّدين، فلا يكون أَوَّلُ جديدِهم إلا عيوبَ أنْفُسِهِم...

* * *

٧١ ـ يقولُ لَكَ الكَذَّابُ إنَّهُ يكْرَهُ الكَذِبَ، وَلَكِنَّهُ في هذا أَيْضاً كَذَّابٌ...

* * *

٧٢ ـ قِيمةُ كُلِّ شَيءٍ هي قِيمةُ الحاجَةِ إِلَيْه؛ فَتُرابُ شِبْرٍ من السَّاحِلِ هو في نَظَرِ الغريقِ أَثْمَنُ من كلِّ ذَهَبِ الأرْضِ.

* * *

٧٣ ـ حَقِيقَةُ الذُّلِّ أَلّا يَعْرِفَ الذَّلِيلُ حقيقةَ نَفْسِهِ.

* * *

٧٤ ـ المُعَلِّمُ ثالِثُ الأَبَوَيْن؛ فَلْيَنْظُر كيفَ يَأْبُو حِينَ ينظرُ كَيْفَ يُعَلِّمُ.

* * *

٧٥ ـ إِنَّما كَثُرَتِ الآراءُ في المَرْأَةِ، لأنَّ المرأةَ هي ما يَفْهَمُهُ كُلُّ رَجُلٍ منها بِنَفْسِهِ.

* * *

٧٦ ـ لا تَبْلُغُ الفلسفةُ ولا العِلْمُ ولا النَّهْضَة النسائِيّةُ... في تعريف المَرْأةِ، أكْثرَ من أنها لَيْست رَجُلاً...

* * *

٧٧ ـ لو عَقَلَ نِساءُ هذا الزَّمَنِ؛ لطالَبْنَ بحقوقِهِنَّ في الرِّجالِ، لا بحقوقهنَّ علىٰ الرِّجالِ.

* * *

٧٨ ـ يُبالِغُ بَعْضُ الكُتَّابِ في مُظَاهَرة النساءِ علىٰ تَمَرّدِهِنَّ، إذْ كانَتْ هذه هي اللُّغَةَ الفَصِيحةَ التي يُنادي بها جَمالُ المرأةِ...

* * *

٧٩ ـ أَبْلَغُ الرَّدِّ على هؤلاء الغالياتِ في المطالبة بِحُقوقِ المَرْأَة، أَنّهنَّ أَوْ أَكْثَرهُنَّ، بَيْن واحِدةٍ فَقَدَتِ الرَّجُلَ، وأُخْرى سُلِبَتِ الرَّجُلَ، وثالثةٍ لَمْ تَنَلِ الرَّجُلَ؛ فَهِي أحلامُ إفلاسٍ كما تَرَىٰ...

* * *

٨٠ ـ ٱسْتِرْجَالُ المَرْأةِ، وَسوءُ خُلُقِ المرأةِ، وَقَذَارةُ المرأةِ، أَحَدُ الثلاثة هو في قُبحِهِ كالثَّلاثَةِ جميعاً.

* * *

٨١ ـ العِشْق الدَّنِيءُ دَنِيءٌ مَرَّتَيْن؛ حَتَّى إنَّ المرأَةَ الساقِطة

لو أَخْلَصَتِ الحُبَّ لِرَجُلٍ مِنْ عشَّاقها، لَسَقَطَت مَرَّةً ثانيةً في رأي الباقين.

* * *

٨٢ ـ في الأُمَمِ المُنْحَطَّةِ، تَجِدُ نِفاقَ الكِبار للْكِبارِ، هو الذي أضاع الكِبارَ وَالصِّغارَ.

* * *

٨٣ ـ في مِثْلِ هذا العَصْرِ، يكادُ يكونُ التّعريفُ الصَّحِيحُ للأَفضلِ من الناسِ أَنَّهُ الأقلُّ سَفالةً...

* * *

٨٤ ـ كثيراً ما جَنَتِ المُرُوءَةُ على أَهْلِها؛ وَلَكِنَّ احتمالَ هذه الجِنايةِ هو أَيْضاً من المُروءَةِ.

* * *

٨٥ ـ إِذَا عامَلْتَ لَئِيماً فأَنْتَ بين ٱثْنَتَيْن: إِما أَن تَبِيعَه ذِمَّتَك بلا شيء، أو تشتريَ ذِمَّته بِشَيْءٍ...

* * *

٨٦ ـ أَقْنِعِ اللَّئيمَ بالكَرَمِ الذي في نَفْسِكَ؛ فبهذه الطريقةِ وَحْدِها يَفْهَمُ اللُّؤمَ الذي في نَفْسِهِ.

* * *

٨٧ ـ الخَطَرُ الذي تكونُ فيه العنايةُ الإلـهية، هو نَجاحٌ اسمُهُ الخَطَرُ.

* * *

٨٨ ـ عِلْمُ الجاهِلِ في شَيْئَيْن: في سكوتِهِ، وفي السكوتِ عَنْه.

* * *

٨٩ ـ أَشَدُّ ما في الكَسَلِ أَنَّه يَجْعَلُ العَمَلَ الواحِدَ كأَنَّهُ أَعْمالٌ كثيرةٌ.

* * *

٩٠ ـ الرَّجُلُ العَظِيمُ في فَنِّهِ، قَالَبٌ إِنْسانِيٌّ لا إِنسانٌ؛ فلا يُقَاسُ إِلا لِيُقاسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

* * *

٩١ ـ مِنْ هَوَان الدُّنيا على الله أَنَّ رَذِيلةَ المُلْحِدِ في رأي المؤمِنِ هي أُختُ غَفْلةِ المُؤْمِن في رَأْي المُلْحِدِ.

* * *

٩٢ ـ لَيْسَ في بَغْضاءِ اللَّئِيمِ أَبْغَضُ من طريقَةِ إِظهارِها، إِنَّهُ لا يُعْلِنُ بُغْضَه بل لؤمَهُ المُبْغِض.

* * *

٩٣ ـ الرَّأْسُ الفارِغُ من الحِكْمَةِ لا يُوازِنهُ في صاحِبِه إِلا فَمٌ مُمْتَلِيءٌ من الثَّرْثَرَةِ.

* * *

٩٤ ـ ما أَضْيَعَ النُّصْحَ في الحُبِّ وفي الخَمْرِ؛ لأَنَّ العاشِقَ والمُدْمِنَ كلاهما أشدُّ ٱفتقاراً لِسُرُورِهِ منه إلى عَقْلِهِ.

* * *

٩٥ ـ أَفلا تَرَىٰ المرأةُ أَنَّ طبيعتَها تَجْعَلُ نَظَرَها إلى الرَّجُلِ في بعض الأَوْقات مُهَيَّأً لِبَعْضِ العَمَىٰ...

* * *

٩٦ ـ قالَ لي عاشِقٌ حَزِينٌ: مَا أقدَسَ الحُزْنَ الَّذِي فِيه رُوحانِيَّةُ الفَرَحِ؛ إِنَّه حُزْنٌ وسُرُورٌ وشَهْوةُ نَفْسٍ.

* * *

٩٧ ـ إذا لَمْ يَكُنْ في الدُّنْيا إلا قاضٍ واحِدٌ يَنْفُذُ قضاؤه، ثُمَّ ٱحْتَجْتَ أَنْ تَرْفَعَ قضيَّةَ غَصْبٍ أو (نَصْبٍ)[1] علىٰ هذا القاضِي... فهذه صُورَةُ كُلِّ عاشِقٍ ومَعْشوقِهِ في الدُّنْيا.

* * *

٩٨ ـ رَأَيْتُ في نَوْمي ذاتَ مَرَّةٍ أَنِّي دَعَوْتُ طبيباً لِمَرِيضٍ عِنْدِي؛ ثُمَّ قُلْتُ له وَقَدْ وَصَفَ الدَّاءَ: هل نُسَخِّنُ الماءَ؟ فقال: لا تُسَخِّن الماءَ؛ ولكن ضَعْه على النار حَتَّى يَسْخُنَ.. هذا بِعَيْنِهِ أُسْلوبُ كِبْرِياءِ المَرْأَةِ العاشِقَةِ حِينَ تَقولُ: لا! على وزن «لا تسخِّن الماء، ولكن...».

* * *

---

(١) قولُهم: نَصَب عليه، بمعنى احتال، واستعمالهم كلمة النصب منها؛ ليس فصيحاً، ولَكِنَّهُ عامِيٌّ مُوَلَّدٌ. وقد أصبحت الكلمة من الألفاظ القضائيَة فلا نمنع أن تَجْري مجرى المصطلحات. وفي اللفظة مع عاميتها دِقَّةٌ بَلِيغَةٌ.

٩٩ ـ إذا طالَ هَجْرُكَ لِمَنْ تُحِبُّها، كانَ أثَرُ مُرُورِ الزَّمَنِ عَلَيْها كَأَثَرِهِ في الحرير المصْبُوغِ؛ إن لم يَبْدُ في العَيْنِ ذَليلَ النَّسْجِ، بَدا فيها ذليلَ اللَّوْنِ...

* * *

١٠٠ ـ الرَّجُلانِ العاشِقانِ لامْرأةٍ واحِدَةٍ لا يَتَحابَّان، وَالمَلِكانِ الطامِعانِ في مَمْلَكَةٍ واحِدَةٍ لا يَتَسالَمانِ، وَالطِّفْلانِ الشَّريكانِ في لُعْبَةٍ واحدةٍ لا يَتصَافيَانِ. فاللُّعْبَةُ امرأةُ الطِّفْلَيْن، وَالمُلْكُ امْرأةُ المَلِكَيْن؛ أمَّا المَرْأَةِ فَهِي امرأةٌ وَمُلْكٌ ولُعْبَةٌ، وَأَتَمُّ النِّساءِ مَنْ تَجْمَعُهُنَّ.

* * *

١٠١ ـ يقولُ لَكَ الزاهِدُ العابِدُ: اخْرُجْ من الدُّنيا وادْخُلْ في نَفْسِكَ. ويقول لَكَ الماجِنُ الخَلِيع: اخْرُجْ منْ نَفْسِكَ وَادْخُلْ إلىٰ الدُّنْيا. وَيَقولُ لَكَ الحَكِيمُ العاقِلُ: كُنْ في الإِنْسانِيَّةِ تَكُنْ في نَفْسِكَ وفي الدُّنْيا.

* * *

١٠٢ ـ تَرَىٰ ماذا يَحْتاجُ الحيوانُ في أُورُبة من قِوام عَيْشِهِ وَلَذّاتِهِ، غيرَ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ حَيوانٌ مِثْلُهُ في قَرْيَةٍ مِنْ قُرىٰ الزَّنْج؟ فَلَيْسَ فَقْرُ المَدَنِيَّةِ فَقْرَ الطَّبِيعَةِ، ولكنَّهُ فَنُّ العَقْل والخَيالِ والوَهْم. وهذه الطَّبِيعَةُ تَكْفِي كُلَّ أَهْلِ الأَرْضِ شَمْساً وَهواءً وَطعاماً وَشراباً وَجمالاً. وَلَكِنَّها لا تُنبِتُ خَيالَاتٍ لِلعَيْشِ ولا

قَواعِدَ للعَيْشِ. فَأَصْبَحَتْ لا تَكْفِي ما دامَ غَنِيٌّ واحِدٌ يُنْفِقُ في لَذَّةِ يَوْمٍ قُوتَ مَدِينَةٍ. لا يأكُلُ الحمارُ الأرْضَ كُلَّها لِيُجِيعَ الحَمِيرَ، ولكنَّ الغَنِيَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ...

* * *

١٠٣ ـ رأيتُ القوانِينَ كملاجِىءِ اللُّقَطاءِ، هذه تُرَبِّي صِغارَ الأَطفالِ، وتلك تربّي صغارَ الجَرائِمِ...

* * *

٤

١٠٤ ـ لا يَفْشُو الكَذِبُ إلَّا في الأُمَمِ الذَّلِيلَةِ؛ فإذا فَقَدُوا سُلْطَةَ الحُكْم وَٱسْتَشْعَروا في الحياةِ مَعْنى فَقْدِها، سَلَّطوا أَنْفُسَهم على ما يَسهُلُ الحُكْمُ عَلَيْهِ لِكُلِّ ضَعِيفٍ: على المعاني في أَلْفاظِها.. ولكنَّ هذا أَيْضاً كَذِبٌ في الحُكْم...

* * *

١٠٥ ـ إذا رأيتَ قَوْماً عَمَّهُمُ الكذِبُ في بابِ ما يُفْتَخَرُ به، فٱجْعَل هذا وَحْدَهُ في تاريخهم بابَ ما سَقَطوا به.

* * *

١٠٦ ـ تَمامُ بَعْضِ اللَّذاتِ في الحِرْمانِ مِنْ بَعْضِ اللَّذَّاتِ.

* * *

١٠٧ ـ ما أَسْعَدَ العَقْلَ الّذِي يَتَأَثَّرُ بِبَلاهَةٍ كالطِّفْلِ؛ وَلَكِنْ هل يُسَمَّى هذا عَقْلاً...؟

❊ ❊ ❊

١٠٨ ـ الحُبُّ في طَبِيعَتِهِ حُمْقٌ عاقِلٌ؛ ألا تَراهُ حِينَ يُبْغِضُ كَيْفَ يَنْقَلِبُ إلىٰ الصورَةِ الأُخْرَى فيكونُ عَقْلاً أَحْمَقَ.

❊ ❊ ❊

١٠٩ ـ أَشَدُّ العَداوةِ لا تكونُ إلا مِنْ أَشَدِّ الحُبِّ.

❊ ❊ ❊

١١٠ ـ كَرِهْتُ رَجُلاً في الدِّينِ، وَكَرِهْتُ ٱمرأةً في الحُبِّ؛ فكانَ النِّزاعُ بَيْنِي وَبَيْنَ من كَرِهْتُ كالنِّزاعِ بَيْنَ دِينَيْنِ لا بَيْنَ شَخْصَيْنِ.

❊ ❊ ❊

١١١ ـ مِنْ أَسْخَفِ ما رَأَيْتِ تَنبُّلُ المُوظَّفِينَ بِثِيابِهِمْ وظاهِرِ هَيْأَتِهم؛ تَكُونُ وَظِيفَةُ أَحَدِهِمْ سِتّةَ جُنَيهاتٍ في الشَّهْرِ، وهو مَدِينٌ للخَيَّاطِ في ٱثْنَيْ عَشَر.. يُرِيدُ أَنْ يُقَلِّدَ الرَّئِيسَ الْكَبِيرَ في تقريرِ مكانَتِهِ بجاهِ الحُكومَةِ؛ فَيُقَرِّرُها وَلَكِنْ بجاهِ الخَيَّاطِ...

❊ ❊ ❊

١١٢ ـ لو تاهَ غَنِيٌّ في الصَّحْراءِ وَنَفَدَ زادُه ثُمَّ أصابَ رَغِيفاً مُلْقىٰ هُناك ـ لَعَرَفَ بِهِ لَذَّةَ الفقْرِ، وَلأَدْرَكَ أَنَّ أَغْنَىٰ الغِنَىٰ

يَعْجُزُ أَن يُؤْتَى النَّفْسَ مِثْلَها. إنْ إمْكانَ المُتَعَذِّرِ هُوَ وُجودٌ تامٌّ السعادة بِنَفْسِهِ، وَهَذا ما حُرِمَهُ الأَغْنِياءُ وَهُوَ لِلفُقَراءِ كُلَّ يَوْمٍ.

* * *

١١٣ ـ قاعِدَةُ الحياةِ أَنَّ ما ٱمْتَنَعَ علىٰ الجِسْمِ مِنْ شَهَواتِهِ جَعَلَتْهُ الرّوحُ من مَسَرَّاتِها؛ فَفِي بَعْضِ الفَقْرِ نَوْعٌ من الثَّرْوَةِ، وَفي نَوْعٍ من الحِرْمانِ بَعْضُ العَطاءِ. وَلَكِنْ أَيْنَ الرُّوحُ القَوِيَّةُ التي تَعْرِفُ هذا الضَّرْبَ من المُعامَلَةِ وتَصْبِرُ عَلَيْه، وَأَكْثَرُ النَّاسِ في معاملة الله كالأَبْلَهِ يُعْطَىٰ صَكًّا بأَلْفِ دينار على «البنك» فَيَحْسَبُهُ ورقةً كالوَرَقِ فيمزِّقُهُ أو يُلقيه ويَذْهَبُ يَتَوَجَّعُ مِنَ الفَقْرِ...

* * *

١١٤ ـ لا يَجْمَعُ الطِّفْلُ على نَفْسِه هَمَّيْنِ في وَقْتٍ معاً، بَلْ يَحْصُرُ نفسَه في الهَمِّ الواحِدِ لِيَخْرُجَ منه أَقْوَىٰ وَأَسْرَعَ ما ٱسْتَطاعَ. وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَقْدِرُ على هذا إلّا الطِّفْلُ في هُمُومِهِ الصغيرة؟.

* * *

١١٥ ـ رُؤْيَةُ الكِبارِ شُجْعاناً هي وَحْدها الَّتِي تُخْرِجُ الصِّغارَ شُجعاناً. ولا طَرِيقةَ غَيْرُ هذِهِ في تَرْبِيَةِ شَجاعَةِ الأُمَّةِ.

* * *

١١٦ ـ يَقُولُ أَهْلُ السِّياسةِ أَحْياناً في الاعتذار إلى الضُّعفاءِ المساكين: أَيُّها العقلاءُ! إنَّ هَذا لا يُمْكِن أَنْ يَحْدُثَ.

والمعنىٰ السياسيُّ: أيُّها البُلْه! إِنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَحدُثَ إِلَّا هَذا...

* * *

١١٧ ـ إذا دامَ ما أَرىٰ مِنْ حَماقَةِ الشَّرْقِيين الناقِلين عن أُورُبَّة؛ فستَنقُلُ أُوربَّةُ يوماً عن الشرقيين متى احتاجَتْ إلى مَخازِيها في شَكْلٍ هَمَجي...

* * *

١١٨ ـ أبلغُ ما في السياسة والحب معاً: أن تُقالَ الكِلمةُ وفي معناها الكلمةُ التي لا تقال...

* * *

١١٩ ـ الحَرْبُ تَصْحِيحٌ لخَطَإٍ وقَع في السِّلْم أو لما يزعُمُه القويُّ خَطَأً وَقَعَ. فلن تَنْتَفيَ هذه الحَرْبُ من الدنيا إلا يومَ تُربَّىٰ الذئابُ تربيةً خروفيَّةً...

* * *

١٢٠ ـ لا فرقَ بين زَوْجةٍ وَحِمارةٍ في دار، إن لم تَجْعَلِ الزَّوْجَةُ دارَها في الزِّينَةِ وَالمَرَح كأَنَّما هي مُتَزَوِّجَةٌ أَيْضاً.

* * *

١٢١ ـ طَبيعةُ المَرْأةِ بِفَنِّها منزليةٌ حِجابِيَّة. والدَّلِيلُ على ذلك وَضْعُ امرأةٍ جميلةٍ تَعْمَلُ في مَصْنَع فيه رجالٌ فَطَبِيعَتُها بِفَنِّها لا تجعلها حينئذٍ إلا بين ٱثْنَتَيْن: إما أن تُطْرَد مِنْ بَيْنِهِم، وإما أن تكون بَيْنَهُمْ كالزَّوْجَةِ...

* * *

١٢٢ ـ يُمَثِّلُ النساءُ الغالِياتُ في المطالبة بحقوقِ المرأةِ فَصْلاً من رِوَايَةِ العاطِفَةِ في شَكْلِ فَصْلٍ من الحَقِّ؛ يُرِدْنَ المُطارَدَةَ وَالسَّلامُ...

* * *

١٢٣ ـ كُنِ الرَّجلَ في معانِيهِ القَوِيَّةِ فلن تَجِدَ المَرْأَةَ مَعَكَ إلَّا في أَقْوَىٰ معانِيها.

* * *

١٢٤ ـ وَدِدْتُ وَاللّٰهِ لو أَمْكَنَ أَنْ يَجْتَمِعَ المطالِباتُ بِحُقوقِ المَرْأَةِ على زَعِيمَةٍ واحِدَةٍ يَخْتَرْنَها من نِساءِ العالَمِ كُلِّهِ؛ فَلَنْ تكونَ هَذِه الواحِدَةُ إلا المرأةَ التي يَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَزَوَّجَها رَجُلٌ في العالَمِ....

* * *

١٢٥ ـ قَضَتِ الطَّبيعةُ قَضاءَها: أَنَّ سعَادةَ المَرْأَةِ في أَنْ تَكُونَ هي سَعَادة لِغَيْرِها؛ فَنِساءُ المَعامِلِ وَالحوانيت هُنَّ... هُنَّ والله الشَّرِيداتُ المُتَصَعْلِكاتُ.

* * *

١٢٦ ـ أنا مُستَيْقِنٌ أَنَّ العِلْمَ سَيَنْتَهِي إلى إِثْباتِ هذه القضية: إِنَّ المَرْأَةَ مَرِيضَةٌ بِأَنَّها أُنْثَىٰ.

* * *

١٢٧ ـ الخَطَأُ وَالمَرْأَةُ: كِلاهُما أَكْبرُ هَمِّهِ أَنْ يَظْهَرَ وَيَغلِبَ...

* * *

١٢٨ ـ طَلَبَ الخَلِيفَةُ المَنْصُورُ إماماً زَاهِداً عَظِيماً لِيُولِّيَهُ القَضاء. فَلَمَّا دَخَلَ الإمامُ قالَ لِلمَنْصُورِ: كَيْفِ حالُكَ، وَكَيْفَ عِيالُكَ، وَكَيْفَ حَمِيرُك.. فقَالَ: أَخْرِجُوه فَإِنَّهُ مَجْنونٌ.

كذلك يُضْطَرُّ الرَّجُلُ العَظِيمُ أن يَخْرُجَ أَحْياناً على عَقْلِ سواهِ لِيَخْرُجَ بِعَقْلِهِ هُوَ.

* * *

١٢٩ ـ الفَيْلَسُوفُ الحَقُّ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي مِنْ نَفْسِهِ إلى مَوْضِعٍ عَقْليٍّ يَكونُ فيه مَعَ الحياةِ كما يَكونُ القاضِي في مَوْضِعِهِ العَقْليِّ مع الحوادِثِ: تَأْتِيهِ لِيَحْكُمَ عَلَيْها لا لِتَحْكُمَ عَلَيْهِ.

* * *

١٣٠ ـ قِلَّةُ الرَّغَباتِ هِي قِلَّةُ هُمُومٍ.

* * *

١٣١ ـ كانَ عُمَرُ بنُ الخطاب ـ وفي يَدِه الدُّنيا ـ يَشْتَهِي

الشَّهْوَةَ من الطعام ثَمَنُها دِرْهَمٌ، فَيُؤَخِّرُها سَنَةً. يُثْبِتُ لِنَفْسِهِ بِذٰلِكَ أَنَّها نَفْسُ عُمَرَ.

* * *

١٣٢ ـ لَيْسَ الّذي يَنْتَحِرُ هو صاحِبَ النَّفْسِ العامِلَةِ بإِيمانِها؛ فإِنَّ هذا تَنْتَحِرُ شهواتُهُ، وَمَطامِعُهُ، وَخَسائِسُهُ.

* * *

١٣٣ ـ الانتحارُ كُفْرٌ صَرِيحٌ يَذْهَبُ بالدُّنْيَا والآخِرَةِ؛ فاليَائِسُ وهو يُفَكِّر أَنْ يَنْتَحِرَ إنما يقولُ للّهِ بلُغَةِ فِكْرِهِ: إِنّكَ عاجِزٌ.

* * *

١٣٤ ـ أَنْت عَجزْتَ أَيُّها الإِنْسانُ فَأَيْقَنْتَ أَنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ أَن تُغَيِّرَ أَطْوارَ الدُّنْيا؛ وَلَكِنْ كَيْفَ نَسِيتَ الّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَها وَهُوَ يُغَيِّرُها كُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ؟

* * *

١٣٥ ـ لا يُمْكِن أَنْ تُرْضِيَكَ الدُّنْيا كُلَّما أَحْبَبْتَ وَلا بِكُلِّ ما تُحِبُّ، فَلَسْتَ أَنْتَ العاصِمَةَ في مَمْلَكَةِ اللّهِ؛ وَلَكِنَّ المُمْكِنَ أَنْ تَرْضَىٰ أَنْتَ بما يُمْكِنُ.

* * *

١٣٦ ـ لقد عَجَزْتَ أَنْ تَنال شَيْئاً فَتَعْلُوَ به دَرَجَةً؛ أَفَعَجَزْتَ أَنْ تَسْتَغْني عَنْه فَتَنْزِلَ دَرَجَةً؟

* * *

١٣٧ ـ في الأرض ناسٌ على أطباقٍ بين المَلِك إلى الزَّبَّال. أَفَيَجْتَمِعُ الزَّبَّالون جميعاً في مَجْزرٍ لِيَنْتَحِروا إذ لم يكُونوا مُلوكاً؟

* * *

١٣٨ ـ لَيْسَتِ الدُّنْيا بما فِيها هِي الَّتِي تَرْفَعُكَ عِنْدَ نَفْسِك أَو تُخْفِضُكَ؛ بَلْ فِكْرُكَ بِما يَكُونُ فِيهِ هو يُخْفِضُكَ أَوْ يَرْفَعُكَ. وَمَنِ الَّذِي يَمْلأُ فِكْرَكَ غَيْرُكَ؟.

* * *

١٣٩ ـ سِرُّ سَعادَةِ المُؤْمِنِ على ما يَجِدُ مِنَ الفَقْرِ وَالشَّقَاءِ في هَذِهِ الحياةِ؛ أَنَّ في ضَمِيرِهِ من فِكْرَةِ الآخِرَةِ وُجُوداً إِلٰهِيّاً عَظِيماً فيه الرِّضَىٰ الدائمُ عَنْ ٱللّهِ، وَالصَّبْرُ الدَّائِمُ على قَضَاءِ اللّهِ، وَالأَمَلُ الدَّائمُ في رَحْمَةِ اللّهِ. فَكُلُّ حِرْمانِ الدُّنْيا يَذْهَبُ في الرِّضَىٰ فلا حِرمان، وَكُلُّ مصائِبها تَقَعُ في الصَّبْرِ فَتَتَحَوَّلُ معانيها، وَالأَمَلُ الدائِم في رَحْمَةِ الله قُوَّةٌ لِلقُوَّتَيْنِ.

* * *

٥

١٤٠ ـ أَرادُوا مَرَّةً امْتِحانَ السِّياسِيِّين في بلاغَةِ السِّياسَةِ، فَطَرَحُوا عَلَيْهِمْ هذا المَوْضوعَ:

سَرَقْتَ حُقوقَ أمةٍ ضَعِيفَةٍ، فَٱكْتُبْ كَيْفَ تَشْكُرُها على هَدِيَّتِها...

* * *

١٤١ ـ عِنْدما يَشْرَبُ الضُّعفاءُ من السَّرابِ الّذِي تُخَيِّلُهُ السِّياسةُ لِأعْينِهِم ـ يُقَدِّمُونَ لَهُمُ المَنادِيلَ النَّظِيفَةَ لِيَمْسَحُوا أَفْوَاهَهُمْ...

* * *

١٤٢ ـ لو سُئِلَ السِّياسِيُّ العَظِيم: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ أَثْقَلُ عَلَيْكَ؟ لقال: إِنْسانِيَّتي.

* * *

١٤٣ ـ قَدْ يُبْطِلُ المَنْطِقُ كُلَّ الحُجَجِ إِلَّا ٱثْنَتَيْنِ: حُجَّةَ السِّيَاسِيّ القَوِيّ حِينَ يَغْتَصِبُ الضَّعيفَ، وَأُخْتَها حُجَّةَ اللِّصِّ الفاتِك حِينَ يُسْأَلُ: مِنْ أَيْنَ ٱشْتَرَى؟ فيقول: ٱشْتَرَتْ يَمِيني مِنْ شِمالي....

* * *

١٤٤ ـ قَالُوا: نَظَمَ الصَّقْرُ قَصِيدةً من الغَزَلِ في عُصْفورٍ جَمِيلٍ مُصَبَّغ الرِّيشِ، فكَانَ مَطْلَعُها: «مَا أَلَذَّ» رِيشَكَ أَيُّها العصفورُ! هَكَذا لُغَةُ السِّيَاسَةِ.

* * *

١٤٥ ـ مَرَّ فَيْلَسُوفٌ بِرَجُلٍ مُصَوِّرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ صُورةُ امرأةٍ قَدْ صَوَّرَها فَأَكْثَرَ عَلَيْها الحِلَى مِنَ الذَّهَبِ وَالجَوْهَرِ، فَسَأَلَهُ في ذلك، فَقالَ المُصَوِّر: لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَجْعَلَها حَسْناءَ فَجَعَلْتُها غَنِيَّةً.... كَذَلِكَ أَحْزابُنا السِّياسِيَّةُ لَمَّا عَجزَتْ عَنْ حَقِيقَةِ السياسَةِ جَعَلَتْنا أَغْنَىٰ النَّاسِ بالكلامِ الفَارِغِ.

* * *

١٤٦ ـ مِنْ تمامِ فَضِيلَةِ الرَّجُلِ السِّياسِيِّ أَنْ يَكونَ لَهُ كلاَمانِ، أَحَدُهما سكوتُه.

* * *

١٤٧ ـ في الحُبِّ وَالسِّياسَةِ، لا يَبْدأُ الإِثْمُ إلا كالفَلْتَةِ المُفْرَدَةِ؛ وَلَكِن مَتَّىٰ وَقَعَ الشَّاذُّ في السِّياسَةِ وَالحُبِّ، صارَ هو القاعِدَةُ...

* * *

١٤٨ ـ إِذَا رَأَيْتَ شَبابَ أُمَّةٍ يَتَنَبَّلونَ بِالثِّيابِ وَالزِّينَةِ، فَاْعْلَمْ أَنَّها أُمَّةُ كَذِبٍ وَنِفَاقٍ: يُغَطُّونَ الحَقِيقَةَ الرَّخِيصَةَ بالثَّوْبِ

الغالي، وَيُكَذِّبُونَ حَتَّىٰ عَلىٰ الأَعْيُنِ.

* * *

١٤٩ ـ فَضِيلَة الملائِكَةِ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّهُمْ لا يُكابِدُون وَلا يحْزَنُونَ؛ أفلا تَكونُ فَضِيلةُ النَّاسِ عِنْدَ الملائِكَةِ أَنَّهُمْ يُكابِدُون وَيَحْزَنُونَ؟.

* * *

١٥٠ ـ قالَتِ العَشْرَةُ لِلأَلْفِ: أَنْتَ سَرَقْتَ مِنِّي صِفرين... هَكَذا رَأَيْتُ غرورَ بَعْضِ أُدَبائِنا.

* * *

١٥١ ـ يَكْبُرُ بَعْضُ الأُدَباءِ مِنْ صِغَرِ المُحِيطينِ بِهِمْ؛ قالوا: بَعَرَتْ شاةٌ حَوْلَ قِطْعةٍ مِنْ حَجَرٍ، فَنَطَقَتْ بَعْرةٌ فقالَتْ للحَجَرِ: يا ما أعظَمَكَ أَيُّها الجَبَلُ الشَّامِخُ...

* * *

١٥٢ ـ يَكونُ في بَعْضِ الأُدَباءِ من سَخَافَةِ الحِقْدِ ما لا يَكُونُ مِثْلُهُ إلا في بَعْضِ النِّساءِ من دَناءَةِ الغَيْرَةِ: لو ماتَتْ ضَرَّتُها لَبَقِي من ذَنبِها أَنَّها كانَتْ ضَرَّةً...

* * *

١٥٣ ـ مَنْ فَرَضَ عَلَىٰ النَّاسِ أَنْ يَعْرِفوهُ نابِغَةً فَقَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ أن يعرفوه مَعْتُوهاً أَوْ مَغْرُوراً.

* * *

١٥٤ ـ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَكَلَّمَ عَنْ مَيْتٍ، فَضَعْ نَفْسَكَ في مَوْضِعِهِ ثُمَّ تَكَلَّمْ.

* * *

١٥٥ ـ مَنْ أَكْثَرَ الشَّكْوَىٰ إِلىٰ النَّاسِ، عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَسْمَعُونَ كلامَهُ خالِياً من الشَّكْوَىٰ.

* * *

١٥٦ ـ إذا صَدَقَ الحُبُّ كانَتْ بَعْضُ اللَّعَناتِ فِيهِ أَحْياناً ضَرْباً مِنَ التَحايا (غِيابِيّاً)...

* * *

١٥٧ ـ كُلُّ مَعْشُوقَةٍ هي أَعْظَمُ من عاشِقِها بحاجَتِهِ إِلَيْها، وَلَوْ كانَ مَلِكاً وَكانَتْ خادِماً؛ فمَا أَحْقَرَ العَظَمَةَ أَحْياناً!.

* * *

١٥٨ ـ عَلَّمَتْنِي التَّجْرِبَةُ أَنَّه لا يَحْسُنُ ٱسْتعمالُ البَلاغَةِ مع عجائِزِ النِّساءِ، فَإِنَّهُنَّ يَحْسَبْنَها غَزَلاً... فَمَنْ كَتَبَ لإِحْداهُنَّ فلا يَجْعَلَنَّ كِتابَهُ مُتَقَدِّماً في الأَدَبِ بَلْ مُتَقَدِّماً في السِّنِّ...

* * *

١٥٩ ـ لا تَكونُ صُورَةُ المَرْأَةِ أَجْمَلَ من الأَصْلِ إِلَّا عِنْدَ ٱثْنَيْنِ: العاشِقِ، وَالمُصَوِّرِ المُكْرَهِ علىٰ التَّزْوِيرِ...

* * *

١٦٠ ـ المَرْأَةُ التي لا تَعْرِفُ كَيْف تَجْعَلُ كِبْرياءَها وَسِيلة

حُبٍّ، لا تَجْعَلُها إلا وسيلةَ مَقْتٍ.

* * *

١٦١ ـ إِذَا أَصَبْتَ زَوْجَيْنِ يَتَمَنَّى أَحَدُهما مَوْتَ الآخَرِ، فَلَنْ تَجِدَ لِهذا الآخَرِ عَمَلاً إلا أَنْ يَغِيظَ صاحِبَهُ كُلَّ يَوْمٍ بأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ..

* * *

١٦٢ ـ أَعْظَمُ الشُّعَراءِ وَأَعْظَمُ الفَلاسِفَةِ مَنْ بَلَغَ دَرَجَةَ الطِّفْلِ.. في جَعْلِ حُكْمِهِ علىٰ الدُّنْيا من الشُّعورِ لا مِنَ الفِكْرِ.

* * *

١٦٣ ـ تَزُولُ صِفَةُ الجمالِ عن الحَبِيبِ إِذَا لم يَرَه مُحبّه مُتَّصِفاً بها؛ وَلَكِنَّ المُشْكِلَةَ هِي: كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَراهُ غَيْرَ جَميلٍ، وهو كأَنَّما خُلِقَ من أَجْلِ عَيْنَيْهِ خاصَّةً؟.

* * *

١٦٤ ـ أَيُّهُمَا الَّذِي تُحِبّهُ المَرْأَةُ؟ أَلرَّجُلُ القَوِيُّ بِأَنواعِ القُوَّةِ يُعجِبُها فَتَراهُ سَيِّدَها وَسَيِّدَ قَلْبِها، أَمِ الرَّجُلُ الضَّعِيفُ بِأَنْوَاعِ الضَّعْفِ ترى نَفْسَها سَيِّدَته؟

هَذا هُوَ جوابُ طَبيعَةِ المَرْأَةِ على طَلَبِ المُساواةِ بين الرِّجالِ وَالنِّساءِ.

* * *

١٦٥ ـ مِنْ سُخْرِيَةِ الحَياةِ بِالنَّابِغَةِ العَبْقَرِيِّ، أَنَّه حِينَ

يُؤَخِّرُ عَمَلَهُ مِنْ عَجْزٍ أَوْ ضَعْفٍ، يَكُونُ هذا هُوَ كُلُّ ما يَسْتَطِيعُهُ النَّابِغَةُ العَبْقَرِيُّ...

❊ ❊ ❊

١٦٦ ـ لَوِ ٱجْتَمَعَ الَّذِينَ مَلأوا الدُّنيا بشُهْرَتِهم لمَا مَلأوا داراً صِغيرةً؛ كأنَّ مِنْهُمَ مَمالِكَ لِلتّارِيخِ كَمَمالكِ الأَرْضِ فلا يَتَّسِعُ إلّا لِعَدَدٍ مَحْدُودٍ.

❊ ❊ ❊

١٦٧ ـ لَوْ كُنْتُ قاضِياً وَرُفِعَ إليَّ شَابٌّ تَجَرَّأَ على ٱمْرَأَةٍ فَمَسَّها أو ٱحْتَكَّ بها أَوْ طارَدَها أَوْ أَسْمَعَها، وَتحقَّقَ عِنْدِي أَنَّ المَرْأَةَ كانَتْ سافِرةً مَدْهُونةً مَصْقُولةً مُتَعَطِّرَةً مُتَبَرِّجَةً ـ لعاقَبْتُ هَذه المرأَةَ عُقُوبَتَيْنِ؛ إحداهما بِأَنَّها أعْتَدَتْ على عِفَةِ الشَّابِّ...، وَالثَّانِيَةِ بأَنَّها خَرقاءُ كَشَفَتِ اللَّحْمَ لِلْهِرِّ...

❊ ❊ ❊

١٦٨ ـ لَنْ يَكُونَ الإلحادُ مِنَ العِلْمِ، فَأَساسُ العِلْم هُوَ هذا: ما عَرَفْتَهُ فَقدْ عَرَفْتَهُ، وَما لَمْ تَعْرِفْهُ فلا أَقلَّ مِنْ أَنْ تُقِرَّ بأَنَّكَ لا تَعْرِفَهُ.

❊ ❊ ❊

١٦٩ ـ إذَا كُنْتَ قائِداً عَظِيماً في أُمَّةٍ ذَلِيلَةٍ فَقِيرَةٍ، ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ نَبِيّاً فِيها بِنَصْبِ شَنَّاقَتَين؛ وَمَا أَسرعَ ما

يَعْتَقِدونَ أَنَّ الّذِي مَعَه عِزْرَائيل كالّذي مَعَهُ جِبْرائِيل...

* * *

١٧٠ ـ لَيْسَ المُصْلِحُ مَن ٱسْتَطاعَ أَنْ يُفْسِدَ عَمَلَ التَّارِيخ، فَهَذا سَهْلٌ مُيَسَّرٌ حَتّىٰ لِلْحَمْقَىٰ؛ وَلَكِنَّ المُصْلِحَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ التاريخ أَنْ يُفْسِدَ عَمَلَهُ مِنْ بَعْدُ.

* * *

١٧١ ـ كُلُّ أَبٍ يَضْرِبُ أَوْلادَه المَساكِينَ هو نابُلِيُون، وَلَكِنَّهُ نابليون دارِهِ فَقَطْ...

* * *

١٧٢ ـ دَجاجَةُ القَفَصِ ٱمْرَأَةٌ مُتَحَجِّبَةٌ في نَظَر الثَّعْلَب؛ وَحِجابُها جَهْلٌ وَحَماقَةٌ وَرَجْعِيَّةٌ وَتَخَلُّفٌ عَنْ زَمَنِ الثَّعالِبِ...

* * *

١٧٣ ـ هُنَا مَسْأَلَةٌ ٱقْتِصادِيَّةٌ: فهذا مَسْجِدٌ واسِعٌ مَفْتوحٌ لا يُؤَجَّرُ بِإيجارٍ يُنْتَفَعُ بِه؛ وَهَذِهِ كَنِيسَةٌ قائِمةٌ لا تَسْتَوْفي الدَّوْلَةُ عَلَيْها ضَريبةً. أَفَلَيْسَ الإصلاحُ أَنْ يُحَوَّلَ المَسْجِدُ دَارَ صِناعةٍ مثلاً، وَتَنْقَلِبَ الكَنِيسةُ مثلاً (خَمَّارَةً)؟

بَلَىٰ أيها الحاكم! إنّ هذا هو إِصْلاحُكَ الطَّبيعِيُّ ما دامَ عَقْلُكَ كِيسَ دَراهِم، وما دامَتْ بلادُكَ بِلادَ إفْلاسٍ...

* * *

٦

١٧٤ ـ أَصْوَبُ الصَّوابِ عِنْدَ المَأْفُونِ غَلْطَةٌ تَجْلِبُ لَهُ الشُّهْرَةَ.

* * *

١٧٥ ـ يَرىٰ المَغْرُورُ أَنَّهُ كالمَسْجِدِ، إذا هدَمَهُ الناسُ بقِيَتْ أَطْلالُهُ تُصلِّي وَتُسَلِّمُ علىٰ نَفْسِها...

* * *

١٧٦ ـ عَقْلُ النَّمْلَةِ يُصَوِّرُ لَها ظلامَ اللَّيْلِ جَيْشاً مِنَ النَّمْلِ قَدْ مَلأَ العالَمَ....

* * *

١٧٧ ـ تَعَدُّدُ الأَحْزابِ في أُمَّةٍ تَحْتاجُ إلىٰ الْحُرِّيَّةِ، كَتَعَدُّدِ الأَنْبياءِ في أُمَّةٍ تَحْتاجُ إلى العَقِيدَةِ؛ إذا وُجِدَ فيها نَبِيّانِ كانَ اتِّفاقُهُما معاً دَليلاً على كَذِبِهما مَعاً، وَكانَ أَقَلُّ ما في اخْتِلافِهِما أَنَّهُ دَلِيلٌ على كَذِبِ أَحَدِهما.

* * *

١٧٨ ـ إنَّما أَضْعَفَ السِّياسِيِّينَ في الشَّرْقِ أَنّ رِبْحَهُمْ وَخِسارَتَهُمْ مِن (الوظائِفِ) لا غَيْر.

* * *

١٧٩ ـ مِنْ مصائِبِ هذا الشَّرْقِ أَنْ الخِصامَ السِّياسِيَّ فِيهِ لا يَدُلُّ على سِياسَةٍ.. تَبرَأَ مَتْبُوعٌ مِنْ تابِعٍ فَاخْتَصَما، فَكانا كَرَجُلٍ وَحِذائِهِ؛ يَقُولُ الرَّجُلُ: أَنا خَلَعْتُ الحِذاءَ، وَيَقولُ الحِذاءُ: بَلْ أنا خَلَعْتُ الرَّجُلَ...

* * *

١٨٠ ـ إذا كانَتِ المُشْكِلَةُ بين الذِّئْبِ وَالحَمَلِ، فَلَنْ يَكونُ حَلُّها إلا مِنْ أَحَدِ ٱثْنَيْنِ: إما لَحْمُ الخروف، أَوْ عصا الرَّاعِي...

* * *

١٨١ ـ كُلُّ دَجَّالٍ لَهُ أساليبُه الَّتِي صارَ بها دَجّالاً، ولَيْسَ لِلمُنْخَدِعِينَ إلا أُسْلوبٌ واحِدٌ في الغَفْلَةِ؛ وَشرٌّ مِنَ الشَّرِّ تَعَدُّدُهُ...

* * *

١٨٢ ـ إذا اصْطَنَعْتَ سَفِيهاً يُسافِهُ عَنْكَ، فَٱحْذَرْه لِليَوْمِ الّذِي لا يكونُ فيه سَفِيهاً إلَّا عَلَيْكَ.

* * *

١٨٣ ـ مَنْ أَحْسَنَ تَمَلُّقَ المَرْأَةِ أَحْسَنَ إخضاعَها لا تَملُّقَها.

* * *

١٨٤ ـ مَا رَأَيْتُ ٱمرأةً حَمْقاءَ إِلَّا كانَ حُمْقُها مِنْ سُخْفِهِ كَأَنَّهُ ٱمرأةٌ أُخْرىٰ حَمْقاءُ...

* * *

١٨٥ ـ إذا أَحْبَبْتَ فَفَكِّرْ في البُغْضِ لَعَلَّهُ يَكُونُ، وَإِذا أَبْغَضْتَ فَفَكِّرْ في الحُبِّ لَعَلَّهُ يَعودُ؛ بِهَذا وَهَذا تَكُونُ دائماً مُحِبّاً وَإِنْ أَبْغَضْتَ.

* * *

١٨٦ ـ مَا أَعْجَبَ تَناقُضَ المَرْأَةِ! هي تُرِيدُ أَنْ تَسْتَقِلَّ فَتَخْرُجَ عَنْ طاعَةِ الرَّجُلِ، وَهي لا تَسْعَدُ إلا حِينَ تَجِدُ رَجُلاً تَشْعُرُ مِنْ حُبِّهِ بِوُجوبِ طاعَتِهِ.

* * *

١٨٧ ـ مِنْ بَلاءِ الحُبِّ أَنَّهُ يُنَزِّهُ جَمالَ المَحْبُوبِ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَكُلِّ نَقْصٍ؛ وَلَكِنَّهُ بِذَلِكَ يَدْفَعُ طَبِيعَةَ العُشَّاقِ إِلىٰ البَحْثِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَكُلِّ عَيْبٍ في أَعْمالِ المَعْشُوقِ.

* * *

١٨٨ ـ قاعِدَةُ الرَّجُلِ مَعَ المَرْأَةِ الَّتِي يُحِبُّها أَنْ تَنْتَصِرَ إِرادَتُه وَإِنْ ذَلَّتْ كِبْرِياؤُهُ؛ وَقاعِدَةُ المَرْأَةِ مَعَ الرَّجُلِ أَنْ تَنْتَصِرَ كِبْرِياؤها وَإِنْ ذَلَّتْ إِرادتُها.

* * *

١٨٩ ـ سُؤَالٌ فِيهِ جَوابُهُ: لِماذا يَكُونُ حِقْدُ المَرْأَةِ الخائِبَةِ في حُبِّها حِقْداً شَدِيداً علىٰ الرَّجُلِ الَّذِي أَحَبَّتْه حَتَّى كَأَنَّهُ حِقْدُ أُمٍّ على قاتِلِ أَطْفالِها...؟

* * *

١٩٠ ـ المَرْأَةُ الّتي لا زَوْجَ لَها مَنْفِيَّةٌ وَإِنْ كانَتْ في دارِها، لأَنَّ وَطَن قَلْبِها الرَّجُلُ.

* * *

١٩١ ـ إِذَا ٱسْتَسْلَمَتِ المَرْأَةُ لِمُحِبِّها ظَنَّتِ الحُبَّ قَدِ ٱبْتَدَأَ، وَعَلِمَهُ الرَّجلُ قَدِ ٱبْتَدَأَ يَنْتهِي... أَذاكَ فَرْقُ ما بَيْنَهُما في الحُبِّ أَمْ فَرْقُ ما بَيْنَهُما في الظُّلْمِ؟.

* * *

١٩٢ ـ ما أعْجَبَ هذا! أَرادَتْ حَبِيبَةٌ ظَرِيفَةٌ أَنْ تَكُونَ مَرَّةً سَخِيفةً عِنْدَ مُحِبِّها، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تكونَ سَخِيفةً إِلَّا كما يُحِبُّ.

* * *

١٩٣ ـ ما هُوَ السُّلوانُ في الحُبِّ؟ هُوَ رجُوعُ العَقْلِ مِنْ سَفَرِهِ الخَيالِيِّ في جِسْمِ المَحْبُوبِ.

* * *

١٩٤ ـ الرَّذِيلَةُ الصَّرِيحَةُ رَذِيلةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنَّ الفَضِيلَةَ الكاذِبَةَ رَذِيلَتان.

* * *

١٩٥ ـ يَرَىٰ المُلْحِدُونَ أَنَّ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْمَلُوا في النَّفْسِ الإِنْسانِيَّةِ كما يَعْمَلُ أَهْلُ الدِّينِ؛ فَهَلْ مِنْ حَقِّ أصابعِ الرِّجْلَيْنِ أَنْ تَمْشِيَ على البِيَانَةِ(١) كأَصَابعِ اليَدَيْنِ؟

* * *

١٩٦ ـ لِكُلِّ إنْسانٍ عقْلٌ تَحْكُمُهُ الغَرِيزَةُ، وَحَقِيقَةُ الدِّينِ أَنْ يَكُونَ لِلغَرِيزَةِ عَقْلٌ يَحْكُمُها.

* * *

١٩٧ ـ إذا جِئْتَ بالنُكْتَةِ وبَالَغْتَ فِيها، كُنْتَ كَمَنْ أَضاءَ المِصْباحَ وَأَطْفَأَهُ حِينَ أَضاءَ.

* * *

٧

١٩٨ ـ لَيْسَ في الشَّرَفِ كَأَدَاءِ الوَاجِبِ بِشَرَفٍ.

* * *

١٩٩ ـ الوَعْدُ السِّيَاسِيُّ جَرِيءٌ في الْكَذِبِ، جَرِيءٌ في الاعْتِذارِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَعِدُ بِإِحْضارِ القَمَرِ حِينَ يَسْتَغْنِي عَنْهُ اللَّيْلُ

(١) هي تعريب (البيانو) وَجَمْعُها بِيانات بكسر الباء.

في آخِرِ الشَّهْرِ... فَإِذا لَمْ يَجِيؤوا به قالُوا: سَيَتْرُكُه اللَّيْلُ في الشَّهْرِ القادِمِ.

* * *

٢٠٠ ـ الزَّمَنُ ضَعِيفٌ في نُصْرَةِ الضَّعِيف؛ فَإِذا قالَتْ دَوْلَةٌ أُورُوبِيَّةٌ لِدَوْلَةٍ شَرْقِيَّةٍ: سَأَدَعُكِ في سَنَةِ (كذا)، فَمَعْناها في سنة (دائماً) التي لا أَعْرِفُها لا أَنا وَلا أَنْتَ وَلا الزَّمن...

* * *

٢٠١ ـ كما تَضرِبُ السِّياسَةُ بِقَنابِلَ حَشْوُها البارُودُ وَالرَّصاصُ؛ نَضْرِبُ بِقَنابِلَ حَشْوُها المطامِعُ وَالمناصِبُ...

* * *

٢٠٢ ـ لا يَجِيءُ الاتِّحادُ القَوِيُّ مِنْ وَحْدَةِ الأَحْزابِ المُخْتَلِفَة، وَلَكِنْ مِنْ وَحْدَةِ الحالَةِ الواحِدَةِ في الأَحْزابِ المُخْتَلِفَةِ.

* * *

٢٠٣ ـ للسِّيَاسَةِ أَحْياناً أُسْلوبٌ كأُسْلوبِ المَرْأَةِ ذاتِ العُشّاقِ؛ إذا وَافَقَ بَعْضُهُم بَعْضاً على النِّكايَةِ بِها، فَرَّقَتْ بَيْنَ حُظوظِهِم مِنْها، فَما أَسْرَعَ ما يَخْتَلِفون.

* * *

٢٠٤ ـ قالَ ذِئْبٌ سِياسيٌّ لِخَرُوفٍ سِياسِيٍّ: أُريدُ الاتِّفاقَ مَعَكَ (حالاً). فقالَ الخَرُوفُ: وَيْلَكَ! إِذَا كُنْتَ أَنْتَ ذِئباً لِلَحْمِي، فَهَلْ تكُونُ (حالاً) هَذِهِ إلا ذِئْباً آخَرَ لِعُمْرِي؟.

* * *

٢٠٥ ـ لَمْ يُضَيِّعِ الشَّرقيينَ ضَعْفُ القُوَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا ضَيَّعَهُمْ ضَعْفُ البَصِيرَةِ.

* * *

٢٠٦ ـ تَاللّهِ مَا أَذَلَّ الشَّرْقَ إلا هَذا التَّصَوُّفُ، وَتَاللّهِ مَا يُعِزُّ الشَّرْقَ إِلَّا هذا التَّصوُّفُ بِعَيْنِهِ، إِذا ٱنْتَقَلَ عن رجالِهِ إِلىٰ رِجالِ المَالِ وَالحُكْمِ وَالسِّياسَةِ.

* * *

٢٠٧ ـ كُنْتُ مَرَّةً في ضِيافَةِ رَجُلٍ من أَهْلِ القُرَىٰ مَعَ أَحَدِ عُلماءِ الفِقْهِ، وَذَهَبْنا مَعَ القُرَوِيّ إِلىٰ أَرْضِهِ وَفِيها نَخْلَةٌ مُتهافِتَةٌ لَيْسَ أَهْوَنُ مِنْها عَلىٰ صاحِبِها. فقَالَ لَهُ الفَقِيهُ: أُحِبُّ أَنْ تَهِبَ لي هذه النَّخْلَةَ في مَغْرِسِها بِحُدُودِها الأَرْبَعَةِ. قال: قَدْ وَهَبْتُها لَكَ. قال الفَقِيهُ: بِحُدُودِها الأَرْبَعَةِ؟ قالَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ: نَعَمْ.

فقالَ لَه الفَقِيهُ: الآنَ وَهَبْتَ لي أَرْضَكَ كُلَّها وَخَرَجْتَ مِنْها شَرعاً.. فَهَذا فَضاءٌ وَلا حُدودَ لِلنَّخْلَةِ إلا آخر ما تَمْلِكُ مِنْهُ في الجِهات الأَرْبَعِ. هَكَذا يَمْلِكُ دُهاةُ الفِقْهِ السِّيَاسِيِّ البِلادَ

العَرِيضَةَ إذا مَلَكوا وَلَوْ نَخْلَةً فِيها، غَيْرَ أَنَّهُمْ يُسَمُّونَ حُدُودَ النَّخْلَةِ «تَحفُّظات» النَّخْلَة...

* * *

٢٠٨ ـ يَكادُ يُقالُ اليَوْمَ إذا عُدَّتِ العَناصِرُ الأَرْضِيَّةُ: إِنَّها النَّارُ وَالماءُ وَالهَواءُ وَالتُّرابُ وَالأُسْطولُ الإنكليزِيّ...

* * *

٢٠٩ ـ كُلُّ مَا ٱسْتَعَنْتَ بِه على الحَبِيبِ المَلُولِ، أعانَ المَلَلَ في نَفْسِهِ.

* * *

٢١٠ ـ لا تُعاتِبْ حَبِيبَكَ الَّذِي مَلَّ، فَإِذا مَرِضَ الحُبُّ ماتَ العِتابُ.

* * *

٢١١ ـ أَكْثَرُ صَبْرِ العُشَّاقِ مِنْ قِلَّةِ الحِيلَةِ...

* * *

٢١٢ ـ كَذِبُ الحَبِيبِ كَذِبٌ مُرٌّ، لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الفَمِ الحُلْوِ.

* * *

٢١٣ ـ جَمالُ التَّواضُعِ في الصَّدِيقِ أَنْ يَسْتَمِرَّ دَائِماً في شَكْلِ تَواضُعٍ، وَجَمالُ الخُضُوعِ في الحَبِيبِ أَلَّا يَسْتَمِرَّ دَائماً في شَكْلِ خُضُوعٍ.

* * *

٢١٤ ـ تَنْظُرُ المَرْأَةُ بِقَلْبِها إِلىٰ أَشْياءَ لا تَراها بِعَيْنِها.

***

٢١٥ ـ ٱحْتَرِس في العَداوَةِ مِما تَبْدأُ به العَدَاوَةُ؛ وَٱحْتَرِسْ في الحُبِّ مِمّا يَنْتَهِي به الحبُّ.

***

٢١٦ ـ لا تَنْسَىٰ الإساءَةَ ٱمْرَأَةٌ لِأَنَّها قَلِيلاً مَا تَذْكُرُ الحَسَنَةَ.

***

٢١٧ ـ كَيْفَ تَتَحَرَّرُ المَرْأَةُ إذا كانَ حُكْمُ الطَّبِيعَةِ أَنَّ أَفْضَلَ ما تُحَرِّرُ بِهِ نَفْسَها أَنْ تَجِدَ مَنْ تُقَيِّدُ بِهِ نَفْسَها؟

***

٢١٨ ـ يا وَيْلَ المَرْأَةِ مِنْ قَلْبِها حِينَ يَكُون مَحْرُوماً! يَا وَيْل المَرْأَةِ مِنْ قَلْبِها حِينَ يَكُونُ فِيها كالمَنْفِيِّ في غُرْبَةٍ!.

***

٢١٩ ـ أَبَتِ الدُّنْيا أَنْ تُفَسِّرَ كُلَّ عَجِيبَةٍ إِلّا بما هُوَ أَعْجَبُ مِنْها. وَهَذِهِ هِيَ العَجِيبَة.

***

٢٢٠ ـ لَوْ كانَتِ اللَّذَّةُ في اللَّذَّةِ نَفْسِها لما شَقِي أَحَدٌ، وَلَتيَسَّرَتْ لِكُلِّ النَّاسِ كما تَيَسَّرَتْ لِكُلِّ البَهائِم؛ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

اللَّذَّاتِ لا يَلَذُّ إلا في التَّرْكِيبِ الوَهْمِيِّ الَّذِي أَكْثَرُهُ في الخَيَالِ وَأَقَلُّهُ في الواقِعِ.

* * *

٢٢١ ـ ما دامَتْ أَخْلاقُ البَهائِمِ في النَّاسِ، فَصَلاحُ الإِنْسانِيَّةِ سَيَبْقَى دائِماً في هَذِهِ المَعاني الثلاثة: الرَّاعِي، وَالحَبْلِ، وَالعَصا... العراق مثلاً

* * *

٢٢٢ ـ مِنْ لُؤْمِ الكَذِبِ وَشَرِّهِ أَنَّكَ لَوْ صَدَقْتَ بِكَلِمَتَيْنِ وَكَذَبْتَ بِثَالِثَةٍ، كُنْتَ كَأَنَّكَ صَدَقْتَ بِٱثْنَتَيْنِ وَكَذَبْتَ بِثَلاثٍ.

* * *

٢٢٣ ـ كَيْفَ تَصْلُحُ الدُّنْيَا وَفي كُلِّ أَرْضٍ يَعْمَلُ على عَكْسِ قَوانِينِها قَانُونُ الجَوِّ وَقَانُونُ الأَرْضِ؟.

* * *

٢٢٤ ـ شَقاءُ العَبْقَرِيِّ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنْ ظَلَّ يَعْمَلُ تَعِبَتْ بِهِ، وَإِنْ تَرَكَ العَمَلَ تَعِبَ بها.

* * *

٢٢٥ ـ أَيْنَ الحَقِيقَةُ الْكامِلَةُ مِنَ العَقْلِ الإِنْسانِيِّ وَنَحْنُ نَرَىٰ كُلَّ عَقْلٍ لا يُعْطَىٰ مِنْها إِلا قَدْرَ ما يَسَعُ مِنْها؟.

* * *

٢٢٦ ـ ٱسْكُتْ عَنِ السَّفِيهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَّا يَجْعلُهُ كَرِيماً مِثْلَكَ لا يَجْعَلُكَ لَئِيماً مِثْلَهُ.

* * *

٢٢٧ ـ قِيلَ لِمَغْرُورٍ مُتَكَبِّرٍ يُخَنْخِنُ في خَيَاشِيمِهِ[1] إِذَا تَكَلَّمَ: لِماذا تَتَكَلَّمُ مِنْ أَنْفِكَ؟ قال: لِأَنِّي لا أَجِدُ في العالَمِ مَنْ أُكَلِّمُهُ بِملْءِ فَمِي....

لَوْ رَدَّ العالَمُ عَلىٰ هذا المَغْرُورِ لقالَ لَهُ: كُلُّ الحَمِيرِ تَنْهَقُ بِمِلْءِ أَفْواهِها إِلا أَنْتَ...

* * *

٢٢٨ ـ إِذا صَغُرَتِ النَّفْسُ مِنْ لُؤْمِ صَاحِبِها، كَبُرَتْ بِلِسانِ صَاحِبِها.

* * *

٢٢٩ ـ الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ لِلرَّجُلِ المُضْحِكِ جِدّاً، هي أَنْ يُظْهِرَ نَفْسَهُ عَظِيماً جِدّاً.

* * *

(١) يخرج الكلامُ مِنْ أنفه أَخَنّ فلا يَبِينُ فِيهِ.

الرافعي

بقلم

أديب العربية الكبير

وحامل الراية بعد الرافعي

أبي فهر

محمود بن محمد شاكر

التعريف

بمحمودّ بن محمد شاكر

(١٠ محرم ١٣٢٧ ـ ٣ ربيع الآخر ١٤١٨ هـ فبراير
شباط ١٩٠٩ ـ ٧ أغسطس/ آب ١٩٩٧م)

جاء في أول كتاب «دراسات عربية وإسلامية»(*) مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فِهْر محمود أحمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين، القاهرة، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م؛ سيرة حياته، تلاها قائمة لأعماله؛ ولأهميتهما ولكون الأستاذ شاكر رحمه الله تعالى حامل الراية بعد الرافعي رحمه الله تعالى، أوردهما في ما يلي، مع بعض إضافات قليلة اقتضاها مرور الزمن:

(*) راجع كذلك «شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمودّ محمد شاكر، بين الدرس الأدبي والتحقيق» تأليف محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٥م.

أبو فهر محمود محمد شاكر

سيـرة حياتـه:

محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، من أسرة أبي عَلْيَاء من أشراف جِرْجَا بصعيد مصر، وينتهي نَسَبه إلى الإمام الحسين بن عليّ رضي الله عنه.

● وُلِدَ في الإسكندرية الساعة السادسة العربية من ليلة عاشوراء الاثنين عاشر المحرم سنة ١٣٢٧ للهجرة، الموافق الساعة الثانية عشرة الإفرنجية أول فبراير/شباط سنة ١٩٠٩م الميلادية.

● انتقل إلى القاهرة في صيف عام ١٩٠٩م بتعيين والده وكيلاً للجامع الأزهر (١٩٠٩ ـ ١٩١٣م) وكان قبل ذلك شيخاً لعلماء الإسكندرية.

● تلقَّى أول مراحل تعليمه في مدرسة الوالدة أم عبَّاس في القاهرة سنة ١٩١٦م.

● بعد ثورة سنة ١٩١٩م انتقل إلى مدرسة القِرَبِيَّة بدَرْب الجَمَامِيز.

● في سنة ١٩٢١م دَخَل المدرسة الخديوية الثانوية.

● مع بداية عام ١٩٢٢م قرأ على الشيخ سيِّد بن علي

المَرْصَفِي، صاحب «رَغْبة الآمِل»، فحَضَر دروسه التي كان يلقيها بعد الظهر في جامع السلطان بَرْقُوق، ثم قرأ عليه في بيته: «الكَامِل» للمُبرِّد، و «حَمَاسَة أبي تمَّام»، وشيئاً من «الأَمَالِي للقَالِي»، وبعض أشعار الهُذَلِيِّين. واستمرت صلته بالشيخ المَرْصَفِي إلى أن توفي، رحمه الله، في سنة ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١م.

● حصل على شهادة البكالوريا (القسم العلمي) عام ١٩٢٥م.

● في سنة ١٩٢٦م التحق بكلية الآداب ـ الجامعة المصرية (قسم اللغة العربية) واستمر بها إلى السنة الثانية، حيث نَشَبَ خلافٌ شديدٌ بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين حول مَنْهج دراسة الشعر الجاهلي، كما بيَّنه في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب «المُتنبِّي»، وترتَّب على ذلك تركه الدراسات الجامعية.

● في سنة ١٣٤٧ هـ/١٩٢٨م ترك الجامعة وسافر إلى الحجاز مهاجراً، فأنشأ ـ بناءً على طلبٍ من الملك عبد العزيز آل سعود ـ مدرسة جدة السعودية الابتدائية وعمل مديراً لها، ولكنه ما لبث أن عاد إلى القاهرة في أواسط عام ١٩٢٩م.

● بعد عودته إلى القاهرة انصرف إلى الأدب والكتابة، فكتب في مجلتي «الفَتْح» و «الزَّهْرَاء» لصاحبهما الأستاذ محبّ الدين الخطيب، وأكثر ماله فيهما الشعر، وكان من كتّابهما منذ كان طالباً.

● بدأت صلته بالعلماء، منذ شبَّ في بيت أبيه، فَعَرف السياسيين والعلماء الذين كانوا يتردَّدون على والده، كما اتصل مباشرةً بعلماء العصر، أمثال: محبّ الدين الخطيب، وأحمد تيمور باشا، والشيخ محمد الخضر حسين، وأحمد زكي باشا، والشيخ إبراهيم أُطْفَيِّش، ومحمد أمين الخانجي وغيرهم، كما تعرّف إلى الشاعر أحمد شوقي، وكان يلتقي به في الأماكن العامة التي كان الشاعر الكبير يتردّد عليها.

● راسل الأستاذ مصطفى صادق الرَّافِعي منذ سنة ١٩٢١م، وهو طالب في السنة الأولى الثانوية، طلَباً للعلم واتَّصلت المعرفة بينهما، وظلَّت هذه الصلة وثيقة إلى وفاة الرَّافِعِي، رحمه الله، في سنة ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧م، فحزن عليه حزناً شديداً صرفه عن استكمال ردوده على الدكتور طه حسين في موضوع المتنبي التي كانت تنشر في جريدة البلاغ.

ومكانة الرافعي عنده يوضّحها تقديمه لكتاب سعيد العريان عن حياة الرافعي(*)، وقد ظلّت هذه الرابطة بينهما تحول سنين عديدة دون التواصل بينه وبين الأستاذ العقّاد، ثم صارت بينه وبين الأستاذ العقّاد صحبة وصداقة عميقة بعد ذلك.

● تعاطَفَ مع الحِزْبِ الوَطَنيّ القديم، فقد كانت هناك صلةٌ بين والده والزعيم مصطفى كامل، كما كان شقيقُه الشيخ علي محمد شاكر عضواً عاملاً بالحزب الوطني، فصَحبَ شباب

(*) وقد أوردتُ هذه المقدَّمة في ما يلي بعد هذا التعريف. بسام.

الحزب الوطني واتَّصل برجاله ومنهم: حافظ رمضان، وعبد الرحمن الرافعي، وأحمد وفيق، والدكتور محجوب ثابت، والشيخ عبد العزيز جاويش.

● صاحب فكرة «جمعية الشُّبَّان المسلمين»، ولكنه تركها لاختلافه مع السيد محب الدين الخطيب وأحمد تيمور باشا والدكتور عبد الحميد سعيد، على الصورة التي صارت إليها.

[راجع ما كتبه عن فكرته وموقفه في مجلة «الفتح» عدد ١٦ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ].

● بدأ الكتابة في مجلة «المقتَطَف» منذ سنة ١٩٣٢م ثم في مجلتي «الرسالة» و «البَلاغ»، ولكنه كان على صلة دائمة بالرسالة في كتابة متقطعة إلى أن توقَّفت عن الصدور.

● في سنة ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م أَخَذَ امتياز إصدار مجلة «العُصُور» من الأستاذ إسماعيل مَظْهَر، لتصدر أسبوعية بعد أن كانت شهرية، وصدر منها عددان الأول في ٢٧ رمضان ١٣٥٧ هـ/ ١٩ نوفمبر ١٩٣٨م، والثاني في ١٧ شوال ١٣٥٧ هـ/ ٩ ديسمبر ١٩٣٨م ثم توقفت عن الصدور بعد أن كان قد دَفَع بعددها الثالث إلى المطبعة، وكان مقرها:.. شارع الإسماعيلية (عمر بن الخطاب) بمصر الجديدة.

● في هذه الفترة قامت صداقة عميقة وعلاقة وطيدة بينه وبين كل من الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقّي، والشاعر العظيم الراحل محمود حسن إسماعيل، وكان كل منهما يعتبر الأستاذ شاكر إماماً عليماً بأسرار البيان العربي في شعره ونثره

ومرجعاً حيّاً للثقافة العربية في مجموعها يأنسان إلى ذخيرته في إبداعهما الأدبي، وقد عبَّر كل منهما عن تلك الرابطة في أكثر من مقام من مقامات القول، منها: قصيدة الأستاذ محمود حسن إسماعيل في تقديم «القوس العذراء»، كما ذكر الأستاذ يحيى حقي في بعض أحاديثه الصحيفة أنه قرأ أمهات كتب الأدب العربي على الأستاذ شاكر.

● بناءً على دعوة من صديقه فؤاد صرُّوف، صاحب المقتطف، ساهم في اختيار وترجمة مواد مجلة «المُخْتَار» بدءاً من عددها الثاني، ولكنه توقَّف بعد قليل.

● وفي الفترة القليلة التي شارك فيها في إخراج «المختار» استطاع أن يقدِّمَ مستوىً للترجمة الصحفية لم يُعْرف من قبل، وأَدْخَل عدداً من المصطلحات الجديدة في اللغة للتعبير عن وسائل واختراعات حديثة من نوع «الطائرة النفَّاثة». وما زال عددٌ من الصحفيين الحاليين يعتبرون عناوين «المختار» التي كان يصوغها نموذجاً يحتذى في هذا الباب.

● في أوائل الأربعينات تعرف على الأستاذ فتحي رضوان، وبدأت صلته بالحزب الوطني الجديد في سنة ١٩٥٠م، وساهم بالكتابة في مجلة «اللواء الجديد».

● انقطع عن الكتابة في الصحف والمجلات، بعد إغلاق الرسالة القديمة في سنة ١٩٥٢م، وتفرَّغ للعمل بالتأليف والتحقيق ونشر النصوص، فأخرج جملة من أمهات الكتب العربية مثل: «تفسير الإمام الطبري» (ستة عشر جزءاً)، و

«طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلَّام الجُمَحِيّ، «وجمهرة نسب قريش» للزبير بن بكَّار، وشارك في إخراج: «الوحشيات» لأبي تمَّام، و «شرح أشعار الهذليين».

ونشر في عام ١٩٥٢م قصيدته «القوس العذراء»، التي تعدّ مَعْلَماً على طريق الشعر الحديث رَغْم التزامها بحراً متساوي الشطرين ومحافظتها على وحدة القافية. ثم أعاد نشرها مرة ثانية في سنة ١٩٦٤م.

كما ألّف كتابه الشهير «أبَاطِيل وأسْمَار» وهو مجموعة مقالات (٢٥ مقالة) كتبها في مجلة الرسالة الجديدة، ثم طبعت مرتين، المرة الأولى سنة ١٩٦٥م وصدر مجلد واحد (فيه قسم من المقالات) وصودر المجلد الثاني. والمرة الثانية سنة ١٩٧٢م في مجلدين ضمَّا جميع المقالات.

وكان سبب كتابة هذه المقالات التعليق على ما نشره الدكتور لويس عوض، المستشار الثقافي لجريدة الأهرام القاهرية حينذاك، في جريدة الأهرام بعنوان «على هامش الغفران»، وذهب فيما نشره إلى تأثر المعري بحديث الإسراء والمعراج، كما ألمح فيه إلى أثر الأساطير اليونانية وغيرها في الحديث النبوي، مما دفع الأستاذ محمود شاكر إلى بيان تهافت كلام لويس عوض وجهله وافترائه، ثم انتقل إلى الكلام عن الثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي وما طرأ عليهما من غزو فكري غربي ولا سيما حركة التبشير التي غزت العالم العربي والإسلاميّ، وما تنطوي عليه هذه الحركة من أساليب ووسائل، وقاده البحث إلى تناول قضايا هامة بحيث يعد

«أباطيل وأسمار» من أهم كتبه، بل من أهم الكتب التي ظهرت في المكتبة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين.

وأعاد طبع كتابه الإمام عن «المتنبي» الذي نُشر كعددٍ مستقل من المقتطف سنة ١٩٣٦م، وقد أثار الكتاب ضجَّة كبيرة حين صدوره بمنهجه المبتكر وأسلوبه في البحث والإبداع، ومقدمته التي عنوانها: «لمحة من فساد حياتنا الأدبية» التي تناولت بكل صراحة ما اعترى الحياة الأدبية في النصف الأول من القرن العشرين من فساد، وما أصاب أجْيال المثقفين من تفريغ، تولّى كِبْرَه واضع نظم التعليم في مصر، المبشر «دنلوب»، الذي سيطر سيطرة تامة على التعليم، والذي لا تزال آثارُه باقية على أشنع صورة في نظمنا التعليمية.

● في الفترة التي صاحبت انتقاله إلى مسكنه في شارع السباق ثم إلى مسكنه في شارع حسين المرصفي بضاحية مصر الجديدة، بدأت أجيالٌ من دارسي التراث العربي المعنيين بالثقافة الإسلامية، من كافة أرجاء العالم الإسلامي، يختلفون إلى بيته، ويتردّدون على مجالسه العلمية يأخذون عنه ويفيدون من علمه ومكتبته الحافلة التي يسَّرَها للدارسين والباحثين ومنهم: الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور إحسان عباس، والدكتور شاكر الفحّام، والأستاذ أحمد راتب النفّاخ، والدكتور محمد يوسف نجم.

● في سنة ١٩٥٧م أَسَّسَ ـ مع الدكتور محمد رشاد سالم والأستاذ إسماعيل عبيد ـ مكتبة دار العروبة، لنشر كنوز الشعر العربي، ونوادر التراث، وكُتُب بعض المفكرين. وباعتقاله

هو وشريكيه في ٣١ أغسطس/آب ١٩٦٥م تم وضعها تحت الحراسة.

● شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات العربية فحضر «مؤتمر الأدباء العرب» في بغداد سنة ١٩٧٠م، ودُعي إلى حضور الدروس الرمضانية التي تعقد في ليالي رمضان في القصر الملكي بالرباط بالمملكة المغربية (رمضان ١٣٩٥ هـ).

كذلك لبى دعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وألقى سلسلة من المحاضرات عن «الشعر الجاهلي» صدرت في كتاب بعنوان «قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلّام الجمحي».

وحالت ظروفه دون تلبية كثير من الدعوات لحضور مؤتمرات وملتقيات عربية وإسلامية كثيرة.

● انتخب عضواً مراسلاً في «مجمع اللغة العربية بدمشق» في سنة ١٩٨٠م.

● اعتقل مرتين في زمن حكم الرئيس جمال عبد الناصر: الأولى لمدة تسعة أشهر في الفترة بين ٩ فبراير/شباط ١٩٥٩م إلى أكتوبر/تشرين الأول ١٩٥٩م. والثانية لمدة ثمانية وعشرين شهراً من ٣١ أغسطس/آب ١٩٦٥م وحتى ٣٠ ديسمبر/كانون الأول ١٩٦٧م (٣٠ رمضان ١٣٨٧ هـ).

● كرّمته الدولة فأَهْدَتْهُ «جائزة الدولة التقديرية في الآداب» عن عام ١٩٨١ تقديراً لجهوده وإسهاماته المتعدِّدَة في

خدمة تراث الإسلام، ودرايته الواسعة بعلوم العربية، ومكانته المتميزة في تاريخ الفكر الإسلامي.

وتسلَّم الجائزة في احتفال أقيم مساء يوم الثلاثاء ٨ رمضان ١٤٠٢ هـ = ٢٩ يونية/حزيران ١٩٨٢م.

توفي في ٣ شهر ربيع الآخر ١٤١٨هـ = ٧ أغسطس/آب ١٩٩٧م.

مؤلفاته وتحقيقاته:

١٩٢٦م

● «يوم تهطل الشجون» (قصيدة)، الزهراء ٣ (١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦م) ١٦٢ ـ ١٦٥.

١٩٢٧م

«روّاد اليمن من الأوروبيين» (محاضرات ألقاها كارلو ألفونسو نلّينو في الجامعة المصرية عن تاريخ اليمن القديم، وكتبها سماعاً منه محمود محمد شاكر)، الزهراء ٣ (١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧م) ٥٠٢ ـ ٥٠٩.

«المشتغلون بِدَرْس الآثار اليمنية، من محاضرات العلّامة كارلو نلّينو في الجامعة المصرية»، الزهراء ٣ (١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧م) ٥٦٢ ـ ٥٧٠ و ٦٣٢ ـ ٦٣٨.

«الناسخون الماسخون»، الزهراء ٤ (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧م) ٢٤٥.

١٩٢٨م

«إكمال ثلاثة خروم من كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه للبكري»، الزهراء ٤ (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨م) ٣٦٢ ـ ٣٦٧.

(*) العناوين التي قبلها الدائرة ● هي القصائد، والتي قبلها النجمة * فهي نصوص محققة، أما التي قبلها نجمتان * * فهي كتب مؤلفة، وفيما عدا ذلك يعتبر مقالات متنوعة.

«النجم الواتر والصبح الثائر» (قصيدة)، الزهراء ٤ (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨م) ٥٤٢ ـ ٥٤٣.

● «كلمة مودّع» (قصيدة)، الزهراء ٥ (١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨م) ٣٣.

«من خط البغدادي»، الزهراء ٥ (١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨م) ٤٢٧.

١٩٣٠م

«كتاب الأم للإمام الشافعي»، البلاغ ١٩٣٠م.

١٩٣٢م

«أدب الجاحظ» للسندوبي و «الصاحب بن عبّاد» لخليل مردم، المقتطف ٨١ (١٩٣٢م) ٤٩١ ـ ٤٩٢.

١٩٣٣م

«صانعة الدموع» (قصيدة)، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٢١١ ـ ٢١٢.

«عصر إسماعيل» لعبد الرحمن الرافعي، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣م) ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

«أبو نواس» لعمر فرُّوخ، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣م) ٢٤٠ ـ ٢٤١.

«ضحى الإسلام» لأحمد أمين، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣م) ٣٦٠ ـ ٣٦٥.

«الشريف الكتاني»، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣م) ٤٨٣ ـ ٤٨٦.

«نابغة بني شيبان»، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٤٩٦ ـ ٤٩٨.

«حافظ وشوقي» لطه حسين، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٦٢٧.

«الرثاء في شعر أبي تمّام والبحتري» لأديبة فارس، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٦٢٧ ـ ٦٢٨.

«الخط الكوفي» ليوسف أحمد، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٦٢٨.

«صلاح الدين وشوقي» لمحمد إسعاف النشاشيبي، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٦٢٨ ـ ٦٢٩.

«الشخصية»، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣م) ٦٢٩.

«أمير الشعراء شوقي» لمحمد خورشيد، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣م) ٦٣٠.

١٩٣٤م

(*) «فَضْلُ العَطَاءِ على العُسْر» لأبي هلال العَسْكَري، ضبطه وصححه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة ـ المطبعة السلفية ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤م.

«الرسول ﷺ»، الرسالة ٢ (١٩٣٤م) ١٠٩٥.

«جمعية الشبان المسلمين»، مجلة الفتح عدد ١٦ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ = ٢٩ يونية/ حزيران ١٩٣٤م.

«حاضر العالم الإسلامي» لوثروب ستودارد، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٣٥٩ ـ ٣٦١.

«ذكرى الشاعرين» لأحمد عبيد، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٣٦١ ـ ٣٦٢.

«ماضي الحجاز وحاضره» لحسين محمد نصيف، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

«الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٣٦٣ ـ ٣٦٥.

«ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم» لأمين محمد سعيد، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

«ابن عبد ربه وعقده» لجبرائيل سليمان جبُّور، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٤٨٥ ـ ٤٨٧.

«رحلة إلى بلاد المجد المفقود» لمصطفى فرُّوخ، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٤٨٧ ـ ٤٨٨.

«تنبيهات اليازجي على محيط البستاني» لسليم شمعون، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٤٨٨ ـ ٤٨٩.

«أنتم الشعراء» لأمين الريحاني، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٦١٣ ـ ٦١٤.

«تاريخ مصر الإسلامية» لإلياس الأيوبي، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٦١٥ ـ ٦١٨.

«آلاء الرحمن في تفسير القرآن» لمحمد جواد البلاغي النجفي، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤) ٦١٨ ـ ٦٢٠.

«ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري» لمحمد عبد الله عنان، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ١٠٩ ـ ١١١.

«قلب جزيرة العرب» لفؤاد حمزة، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ١١١ ـ ١١٢.

«مفتاح كنوز السنة»، فنسنك، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

«ملوك الطوائف» لدوزي، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٢٥٢ ـ ٢٥٤.

«الينبوع» نظم أحمد زكي أبو شادي، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٣٨٠ ـ ٣٨١.

«صاحب المسحاة» (قصيدة) لادوين ماركهام ـ نقلها بتصرف يسير، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٤٩٤ ـ ٤٩٥.

«النثر الفني في القرن الرابع الهجري» لزكي مبارك، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٥١١.

«ديوان عبد المطلب»، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ١١٤ ـ ١١٥.

«مرشد المعلم» لجون آدمز وترجمة محمد أحمد الغمراوي، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ١١٦ ـ ١١٧.

«مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام» لمحمد عبد الله عنان، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ١١٧ ـ ١١٨.

«جنة العاملين» لرابندرانات طاغور، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ٣٥٣ ـ ٣٥٥.

«القارىء يناجي شاعره» لرتشرد لاغالين، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ٣٥٥.

«رحمة الله عليها» لأوسكار وايلد، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ٥٠٤.

● «الشباب والشيخوخة» (قصيدة) لروبنصن جفرز ـ أفرغها في القالب العربي، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ٥٠٥.

✓ «المستدرك على ذيل زهر الآداب» وهي تصحيحات لطبعة «ذيل زهر الآداب» لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، التي نشرها محمد أمين الخانجي، عام ١٣٥٣هـ، المطبعة الرحمانية بمصر.

١٩٣٥م

«الإسلام والحضارة العربية» لمحمد كرد علي، المقتطف ٨٦ (١٩٣٥م) ١٠٩ ـ ١١٢.

«تطور الأساليب النثرية» لأنيس المقدسي، المقطم عدد يونية/ حزيران ١٩٣٥م، [رد مؤلفه على الأستاذ شاكر، المقطم عدد ١٣ أغسطس/ آب ١٩٣٥م، ورد الأستاذ شاكر عليه، المقطم عدد ٢٠ أغسطس/ آب ١٩٣٥].

١٩٣٦م

** «أبو الطيب المتنبي»، المقتطف ٨٨ (١٩٣٦م) ١ ـ ١٦٨ (عدد خاص) [مصطفى صادق الرافعي: «المقتطف والمتنبي» الرسالة ٤ (١٩٣٦م) ٨٠ و انظر السفر الثاني من كتاب «المتنبي» (القاهرة ١٩٧٧م)].

«ترجمة القرآن في صحيح البخاري ـ ١»، البلاغ عدد ٧ إبريل/ نيسان ١٩٣٦م.

«ترجمة القرآن لها باب مستقل في صحيح البخاري ـ ٢»، البلاغ عدد ١٠ إبريل/ نيسان ١٩٣٦م.

«ترجمة القرآن»، البلاغ عدد ١١ إبريل/ نيسان ١٩٣٦م.

«ترجمة القرآن في الكتب المنزلة»، البلاغ عدد ١٥ إبريل/ نيسان ١٩٣٦م.

● «انتظري بغضي» (قصيدة)، الرسالة ٤ (١٩٣٦م) ٩٠٥ ـ ٩٠٦.

● «حيرة» (قصيدة)، الرسالة ٤ (١٩٣٦م) ١٣٥١.

«نبوة المتنبي»، الرسالة ٤ (١٩٣٦) ١٤٩٢ ـ ١٤٩٥.

«نبوة المتنبي أيضاً»، الرسالة ٤ (١٩٣٦م) ١٦٦٣ ـ ١٦٦٦، ١٧٠١ ـ ١٧٠٥.

[سعيد الأفغاني: «حول نبوة المتنبي»، الرسالة ٤ (١٩٣٦م) ١٦١٩ ـ ١٦٢٢.

سعيد الأفغاني: «حول نبوة المتنبي أيضاً»، الرسالة ٤ (١٩٣٦م) ١٨٠٢ ـ ١٨٠٣.

عبد المتعال الصعيدي: «الفصل في نبوة المتنبي من شعره»، الرسالة ٤ (١٩٣٦م) ١٨٠٤ ـ ١٨٠٥].

● «عقوق» (قصيدة)، الرسالة ٤ (١٩٣٦م) ١٨٥٠.

١٩٣٧م

«وحي القلم» للأستاذ مصطفى صادق الرافعي، المقتطف ٩٠ (١٩٣٧م) ٢٥١.

● «ألست التي» (قصيدة)، الرسالة ٥ (١٩٣٧م) ٦٩ ـ ٧٠.

«بيني وبين طه»، البلاغ ١٣ فبراير/ شباط و ٢٠ فبراير/ شباط و ٢٧ فبراير/ شباط و ٩ مارس/ آذار و ١٣ مارس/ آذار و ٢٠ مارس/ آذار و ٢٧ مارس/ آذار و ٣ إبريل/ نيسان و ١٠ إبريل/ نيسان و ١٧ إبريل/ نيسان و ٤ مايو/ أيار و ١١ مايو/ أيار ١٩٣٧م.

«الرافعي» (قصيدة مرسلة)، الرسالة ٥ (١٩٣٧م) ٨٢١.

١٩٣٨م

«بين الرافعي والعقّاد» (خمس مقالات)، الرسالة ٦ (١٩٣٨م) ٧٨١ ـ ٧٨٣ و ٨٠٨ ـ ٨١١ و ٨٥١ ـ ٨٥٤ و ٩٠٢ ـ ٩٠٣ و ٩٣٣ ـ ٩٣٥.

[«كلمة على الهامش» لعلي الطنطاوي، الرسالة ٦ (١٩٣٨م) ٩٣٩ ـ ٩٤٠.

«أهذا نقد؟ أهذا كلام» لعلي الطنطاوي، الرسالة ٦ (١٩٣٨م) ٩٨١ ـ ٩٨٢.

رد لسيد قطب، الرسالة ٦ (١٩٣٨م) ٨٣٨ و ٨٥٤ ـ ٨٥٧].

«فاتحة العصور»، العصور عدد ١٦ نوفمبر/ تشرين الآخر ١٩٣٨م.

«تهيئة الشرق لوراثة الحضارات والمدنيات»، العصور عدد ٩ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٣٨م، ٣٧ ـ ٣٩.

١٩٣٩م

«من صاحب العصور إلى صاحب الرسالة»، الرسالة ٧ (١٩٣٩م) ٦٧.

«ذات النطاقين»، الرسالة ٧ (١٩٣٩م) ٥٣٩ ـ ٥٤١.

● «رماد» (قصيدة)، الرسالة ٧ (١٩٣٩م) ٢٣٤٨ ـ ٢٣٤٩.

«مقدمة حياة الرافعي» لمحمد سعيد العريان (القاهرة مطبعة الرسالة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م).

١٩٤٠م

* «إمْتَاعُ الأَسْمَاعِ بما للرَّسُولِ من الأَبْنَاء والأَمْوَال والحَفَدة والمَتَاع» لتقي الدين المقريزي، صحَّحه وشرحه محمود محمد شاكر (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠م).

[نقد للأستاذ محمد عبد الغني حسن، الرسالة ٩ (١٩٤١م) ٧١٦، ورد على نقد، الرسالة ٩ (١٩٤١م) ٧٤٢ ـ ٧٤٣].

* «المُكَافَأة وحُسْن العُقبَى» لأحمد بن يوسف بن الداية الكاتب، حقّقه وشرحه وصحّحه محمود محمد شاكر (القاهرة، المكتبة التجارية رمضان ١٣٥٩ هـ = أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٠م).

[وراجع كلام للأستاذ محمود محمد شاكر حول طبعته وطبعة وزارة المعارف للكتاب نفسه بعنوان «عدوان لطيف»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٨٣٦ ـ ١٨٣٨].

«علم معاني أسرار الحروف ـ سر من أسرار العربية»، المقتطف ٩٦ (١٩٤٠م) ٣٢٠ ـ ٣٢٥ و ٤٠٧ ـ ٤١٢ و ٩٧ (١٩٤٠م) ٥٥ ـ ٦٣.

«باب الأدب في أسبوع» «منهجي في هذا الباب»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٢٤ ـ ٢٦ و ٦٢ ـ ٦٤ و ١٠١ ـ ١٠٣ و ١٤٣ ـ ١٤٥ و

١٨١ ـ ٢٨٣ و ٢٢٢ ـ ٢٢٤ و ٢٥٩ ـ ٢٦٢ و ٣٠٠ ـ ٣٠٢ و ٣٤٣ ـ ٣٤٦ و ٥٣٩ ـ ٥٤٢ و ٥٨٣ ـ ٥٨٦ و ٦٢٠ ـ ٦٢٢ و ٦٦١ ـ ٦٦٤ و ٧٠١ ـ ٧٠٣ و ٧٤١ ـ ٧٤٤ و ٧٢٤ ـ ٧٢٦.

● «أذكري قلبي» (قصيدة)، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٢٢٠.

«الحقيقة المؤمنة» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٣٨٣ ـ ٣٨٦.

● «تحت الليل» (قصيدة)، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٥٠٢.

«غبرات لا غبارات»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٥١٣ ـ ٥١٤.

«الأغنياء»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٧٧٧ ـ ٧٧٨.

«إلى أين» (ثلاث مقالات)، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٩٧٠ ـ ٩٧٣ و ١٠٠٧ ـ ١٠٠٩ و ١٠٤٤ ـ ١٠٤٦.

«ويلك آمن»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٠٨٤.

«هذه هي الساعة»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١١٢٣ ـ ١١٢٥.

«أخوك أم الذئب»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١١٦١ ـ ١١٦٣.

«يوم البعث»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١١٨٨ ـ ١١٨٩.

«الحضارة المتبرجة»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٢٥٢ ـ ١٢٥٤.

«اقتطف» «باريس»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٢٧١.

«عدوان لطيف»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٨٣٦ ـ ١٨٣٨.

«الطريق إلى الأدب»، الدستور عدد ٢٣ أبريل/ نيسان ١٩٤٠م و ٣٠ أبريل/ نيسان ١٩٤٠م.

«فوضى الأدب وأدب الفوضى»، الدستور عدد ١١ يونية/ حزيران ١٩٤٠م.

«الأدب والحرب»، الدستور عدد ١٨ يونية/ حزيران ١٩٤٠م.

«إلى علي ماهر باشا»، الدستور عدد ٢٦ يونية/حزيران ١٩٤٠م.

«أهوال النفس»، الدستور عدد ٢٧ يونية/حزيران ١٩٤٠م.

«لا تبكوا، لا تنوحوا»، الدستور عدد ٥ يولية/تموز ١٩٤٠م.

«تجديد التاريخ المصري ساعة واحدة»، الدستور عدد ١٢ يولية/تموز ١٩٤٠م.

«أحلام مبعثرة»، الدستور عدد ٢١ يولية/تموز ١٩٤٠م.

«وقاحة الأدب، أدباء الطابور الخامس»، الدستور عدد ٣ أغسطس/آب ١٩٤٠م.

«قلوب جديدة»، الدستور عدد ١١ أغسطس/آب ١٩٤٠م.

«القلم المعطل»، الدستور عدد ١٧ سبتمبر/أيلول ١٩٤٠م.

١٩٤١م

«إمتاع الأسماع»، الرسالة ٩ (١٩٤١م) ٧٤٢ ـ ٧٤٣.

١٩٤٢م

«أيام حزينة» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ١٠ (١٩٤٢م) ١٩٤ ـ ١٩٦.

«ذكرى أم كلثوم للشاعر التركي إبراهيم صبري» (ترجمة)، الرسالة ١٠ (١٩٤٢م) ١٠٢٦ ـ ١٠٢٧.

«الطريق إلى الحق»، الرسالة ١٠ (١٩٤٢م) ١١٠٣ ـ ١١٠٦.

«عبقرية عمر» للعقّاد، المقتطف ١٠١ (١٩٤٢م) ٥٣٤.

١٩٤٣م

«أدباء»، الرسالة ١١ (١٩٤٣م) ١٩.

● «من تحت الأنقاض» (قصيدة)، الرسالة ١١ (١٩٤٣م) ٤٣٦.

● «الشجرة ناسكة الصحراء» (قصيدة)، المقتطف ١٠٢ (١٩٤٣م) ٢٨.

«شاعر الحب والفلوات، ذو الرُّمَّة» (ثلاث مقالات)، المقتطف ١٠٢ (١٩٤٣م) ١٢٥ و ٢٤٤ ـ ١٠٣ (١٩٤٣م) ٤١.

١٩٤٤م

«جريرة ميعاد» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ١٢ (١٩٤٤م) ٦٩ ـ ٧٢.

«الحرف اللاتيني والعربية»، الرسالة ١٢ (١٩٤٤م) ٣٠٨ ـ ٣١٠.

«صديق إبليس» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ١٢ (١٩٤٤م) ٣٧ ـ ٤٠ و ٦٠ ـ ٦٢.

١٩٤٦م

«من وراء حجاب»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ٨ ـ ١١.

«تهجم على التخطئة»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٩٩ ـ ٢٠٠.

«وأيضاً تهجم على التخطئة»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ٣٣٣ ـ ٣٣٦.

«اللغة والمجتمع» لعلي عبد الواحد وافي، الكتاب ٢ (١٩٤٦م) ٣١٠ ـ ٣١٤.
«هَزْل»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٠٧٥ ـ ١٠٧٧.
«بين جيلَيْن»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٠٩٩ ـ ١١٠١.
«اسلمي يا مصر...!»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١١٥٧ ـ ١١٥٩.
«بعض الذكرى..!» الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٢١٣ ـ ١٢١٥.
«نافِقَاء اليربوع»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٢٦٩ ـ ١٢٧٠.
«ساعة فاصلة...!»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٣٢٣ ـ ١٣٢٦.
«احذَري أَيّتُها العرب»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٣٧٩ ـ ١٣٨١.
«مَن اسْتَرعى الذئب ظلم»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٤٣٥ ـ ١٤٣٨.

١٩٤٧م

«حديث غد» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٤ ـ ١٧.
«مصر هي السودان»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٠٤ ـ ١٠٦.
«لا تدابروا أيها الرجال»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٢١٨ ـ ٢٢٠.
«إنه جهادٌ لا سياسة»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٢٧١ ـ ٢٧٣.
«الخيانة العظمى...!»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٣٢٧ ـ ٣٣٠.
«الجلاءُ الأعظم»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٣٨٣ ـ ٣٨٥.
«نحن العرب..»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٤٣٩ ـ ٤٨١.
«الحكم العدل»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٤٩٦ ـ ٤٩٨.

«هي الحرية»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٥٥٢ ـ ٥٥٤.

«قضي الأمر..»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٦٠٨ ـ ٦٠٩.

«أسد أفريقية»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٦٦٣ ـ ٦٦٥.

«شعبٌ واحدٌ، وقضيةٌ واحدة!»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٧٢٢ ـ ٧٢٤.

«هذه بلادنا»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٧٧٧ ـ ٧٧٩.

«شهر النصر»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٨٣٥ ـ ٨٣٧.

«في الماضي»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٨٦٠ ـ ٨٦٢.

«عبر لمن يعتبر»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٩١٥ ـ ٩١٨.

«اتقوا غضبة الشعب»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٩٧٢ ـ ٩٧٤.

«مؤتمر المستضعفين»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٠٢٨ ـ ١٠٣٠.

«أوطان»، الكتاب ٤ (١٩٤٧م) ١٥٦٦ ـ ١٥٧٨.

«لا هوادة بعد اليوم»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٠٨٤ ـ ١٠٨٦.

«حديث الدولتين»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١١٤٠ ـ ١١٤١.

«بلبلة»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١١٩٩ ـ ١٢٠١.

«لسان السياسة البريطانية»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٢٥٨ ـ ١٢٦٠.

«لبيك يا فلسطين!»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٣١٣ ـ ١٣١٥.

«ثلاثة رجال»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٣٦٨ ـ ١٣٧١.

«إيَّاكم والمهادنة»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٤٢٣ ـ ١٤٢٦.

١٩٤٨م

«ويحكم هبُّوا»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٢١ ـ ٢٣.

«لا تَمَلُّوا»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٤٥ ـ ٤٨.

«كلمة أخرى»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ١٠٣ ـ ١٠٥.

«الفتنة الكبرى ـ ١»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ١٣٤ ـ ١٣٨.

«هذا زماننا»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ١٦٠ ـ ١٦٢.

«الفتنة الكبرى ـ ٢»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ١٩٣ ـ ١٩٦.

[تعليق لشوقي ضيف ٢٠١ ـ ٢٠٣، ورد للأستاذ شاكر ٢١١].

«الحرية!.. الحرية!»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٢١٤ ـ ٢١٦.

«الفتنة الكبرى ـ ٣»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٢٥٤ ـ ٢٥٧.

«لمن أكتب؟»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٢٧٤ ـ ٢٧٦.

١٩٥٠م

«على حد منكب»، الرسالة ١٨ (١٩٥٠م) ١٣٨٥ ـ ١٣٨٧.

١٩٥١م

«لا تنسوا»، اللواء الجديد عدد ٧ أغسطس/آب ١٩٥١م.

«عدوي وعدوكم»، اللواء الجديد عدد ٢٤ أغسطس/آب ١٩٥١م.

«أندية، لا نادٍ واحد»، اللواء الجديد عدد ٢٨ أغسطس/ آب ١٩٥١م.
«لا تخدعونا»، اللواء الجديد عدد ٤ سبتمبر/ أيلول ١٩٥١م.
«احذروا عدوكم»، اللواء الجديد عدد ١٨ سبتمبر/ أيلول ١٩٥١م.
«في خدمة الاستعمار»، اللواء الجديد عدد ٢٥ سبتمبر/ أيلول ١٩٥١م.
«حكم بلا بيِّنة»، المسلمون ١ (١٣٧١ هـ = ١٩٥١م) ٤٣ ـ ٤٨.
«تاريخ بلا إيمان»، المسلمون (١٣٧١ هـ = ١٩٥١م) ١٣٨ ـ ١٤٥.

١٩٥٢م

«لا تسبُّوا أصحابي»، المسلمون ١ (١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢م) ٢٤٦ ـ ٢٥٥.
● «القوس العذراء»، الكتاب ١١ (١٩٥٢م) ١٥١ ـ ١٧٨.
[جمال مرسي بدر، الكتاب ١١ (١٩٥٢م) ٣٨٠ ـ ٣٨١، محمد سعيد المسلم، الكتاب ١٢ (١٩٥٣م) ٢٩٣ ـ ٢٩٥، ورد الأستاذ شاكر عليه، الكتاب ١٢ (١٩٥٣م) ٥٥٠ ـ ٥٥١].
«ذو العقل يشقى»، الرسالة ٢٠ (١٩٥٢م) ٢٤٢.
«ألسنة المفترين»، المسلمون ١ (١٣٧١ هـ = ١٩٥٢م) ٣٥١ ـ ٣٥٩.
«أعتذر إليك»، الرسالة ٢٠ (١٩٥٢م) ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

«كلمة تقال»، الرسالة ٢٠ (١٩٥٢م) ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

* «طَبَقَاتُ فُحُولِ الشُّعَرَاء» لمحمد بن سلَّام الجُمَحِيّ، حقَّقه وشرحه محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٢ ـ سلسلة ذخائر العرب ٧).

[نقد للأستاذ السيد أحمد صقر الكتاب ١٢ (١٩٥٣م) ٣٧٩ ـ ٣٨٧، رد الأستاذ شاكر، الكتاب ١٢ (١٩٥٣م) ٥١٣ ـ ٥٢٢، تعليق للدكتور محمد يوسف، الكتاب ١٢ (١٩٥٣م) ٥٢٢ ـ ٥٢٤].

١٩٥٣م

«فيم أكتب!»، الرسالة ٢١ (١٩٥٣م) ٩ ـ ١١.

«إبصر طريقك»، الرسالة ٢١ (١٩٥٣م) ٨٩ ـ ٩١.

«باطل مشرق»، الرسالة ٢١ (١٩٥٣م) ١٦٤ ـ ١٦٦.

«غِرارة ملقاة»، الرسالة ٢١ (١٩٥٣م) ٢٨٩ ـ ٢٩٢.

١٩٥٤

* «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيّ ـ جَامِعُ البَيَان عن تَأْوِيل آي القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الجزءان الأول والثاني، حقَّقه وعلَّق حواشيه محمود محمد شاكر وراجعه وخرَّج أحاديثه أحمد محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٤م ـ تراث الإسلام).

١٩٥٥م

* «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيّ»، الأجزاء الثالث والرابع والخامس، حقَّقه وعلَّق حواشيه محمود محمد شاكر وراجعه وخرَّج أحاديثه أحمد

محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٥ ـ تراث الإسلام).

[ناصر الدين الأسد: مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (مايو/ أيار ١٩٥٦م) ٢٠٧ ـ ٢١١].

١٩٥٦م

* «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيّ»، الأجزاء السادس والسابع والثامن، حقَّقه وعلَّق حَواشيه محمود محمد شاكر وراجعه وخرَّج أحاديثه أحمد محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٦م ـ تراث الإسلام).

١٩٥٧م

* «تَفْسِيرُ الطبَرِيّ»، الجزآن التاسع والعاشر، حقَّقه وعلَّق حواشيه محمود محمد شاكر وراجعه وخرَّج أحاديثه أحمد محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٧م ـ تراث الإسلام).

* «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيّ»، الجزآن الحادي عشر والثاني عشر، حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمود محمد شاكر وراجع أحاديثه أحمد محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٧م ـ تراث الإسلام).

١٩٥٨م

* «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيّ» الجزء الثالث عشر، حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمود محمد شاكر وراجع أحاديثه أحمد محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٨م ـ تراث الإسلام).

«الشيخ أحمد محمد شاكر»، المجلة ١٩ (يولية/ تموز ١٩٥٨م) ١١٩ ـ ١١٢.

«فصل في إعجاز القرآن» تقديم كتاب «الظاهرة القرآنية، نظرية جديدة في دراسات القرآن» لمالك بن نبي وترجمة عبد الصبور شاهين (القاهرة، مكتبة دار العروبة ١٩٥٨م ـ الطبعة الأولى).

«تَفْسِيرُ الطَّبَرِي»، الجزء الرابع عشر، حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٨م ـ تراث الإسلام).

١٩٦٠م

* «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيّ»، الجزء الخامس عشر، حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٦٠م ـ تراث الإسلام).

١٩٦٢م

* «جَمْهَرةُ نَسَبِ قُرَيْشٍ وأخبارها» للزبير بن بكَّار، شَرَحَهُ وحقَّقَه محمود محمد شاكر، الجزء الأول (القاهرة، مكتبة دار العروبة ١٣٨١ هـ).

١٩٦٤م

● «القوس العذراء»، القاهرة ـ مكتبة دار العروبة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م (الطبعة الأولى).

«ليس حسناً»، الرسالة ١٠٨٩ (٢٦ نوفمبر/ تشرين الآخر ١٩٦٤م) ٦ ـ ١٢.

«بَلْ مَعِيباً»، الرسالة ١٠٩٠ (٣ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م) ٥ ـ ١١.

«بَلْ قبيحاً»، الرسالة ١٠٩١ (١٠ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م) ٥ ـ ١١.

«بل شنيعاً»، الرسالة ١٠٩٢ (١٧ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م) ٥ ـ ١١.

«لا تَنْقَضِي»، الرسالة ١٠٩٣ (٢٤ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م) ٤ ـ ١٠.

«هذه هي القضية»، الرسالة ١٠٩٤ (٣١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م) ٦ ـ ١٣.

١٩٦٥م

«وهذا هو تاريخها»، الرسالة ١٠٩٥ (٧ يناير/ كانون الآخر ١٩٦٥م) ٤ ـ ١٠.

«وهذه هي آثارها، الرسالة ١٠٩٦ (١٤ يناير/ كانون الآخر ١٩٦٥م) ٦ ـ ١٣.

«وهذه هي أخبارها»، الرسالة ١٠٩٧ (٢١ يناير/ كانون الآخر ١٩٦٥م) ٦ ـ ١٣.

«وهذه هي أخطارها»، الرسالة ١٠٩٨ (٢٨ يناير/ كانون الآخر ١٩٦٥م) ٧ ـ ١٤.

«وأيضاً»، الرسالة ١٠٩٩ (٤ فبراير/ شباط ١٩٦٥م) ٦ ـ ١٣.

«وما أدراكَ مَاهِيَهْ؟»، الرسالة ١١٠٠ (١١ فبراير/ شباط ١٩٦٥م) ٦ ـ ١٣.

«نارٌ حامية»، الرسالة ١١٠١ (٨ فبراير/ شباط ١٩٦٥م) ٢ ـ ١٠.

«أم علَى قلوبٍ أقْفَالها»، الرسالة ١١٠٢ (٢٥ فبراير/ شباط ١٩٦٥م) ٧ ـ ١٢.

«وأقولُ نَعَمْ!» الرسالة ١١٠٥ (١٨ مارس/ آذار ١٩٦٥م) ٥ ـ ٨.

«كاد النَّعام يطير»، الرسالة ١١٠٦ (٢٥ مارس/ آذار ١٩٦٥م) ٦ ـ ١١.

«أما بَعْدُ»، الرسالة ١١١٤ (٢٠ مايو/ أيار ١٩٦٥م) ٥ ـ ١٠.

«أمهلهم رويداً»، الرسالة ١١١٥ (٢٧ مايو/ أيار ١٩٦٥م) ٦ ـ ١٣.

«باب الفحص في أمر دِمْنَة»، الرسالة ١١١٦ (٣ يونية/ حزيران ١٩٦٥م) ٦ ـ ١٢.

«تتمة الفحص عن أمر دمنة»، الرسالة ١١١٧ (١٠ يونية/ حزيران ١٩٦٥م) ٢ ـ ٨.

«على أهلها تجني بَرَاقِش»، الرسالة ١١١٨ (١٧ يونية/ حزيران ١٩٦٥م) ٤ ـ ١٣.

«ليس الطريق هنالك»، الرسالة ١١١٩ (٢٤ يونيه/ حزيران ١٩٦٥) ٤ ـ ١٣.

«ثُمَّ... ليس الطريق هنالك»، الرسالة ١١٢٠ (أول يوليو/ تموز ١٩٦٥م) ٢ ـ ٦.

«ثُمَّتَ... ليس الطريق هنالك»، الرسالة ١١٢٢ (١٥ يوليو/ تموز ١٩٦٥م) ٢ ـ ١٠.

❊ «شرح أشعار الهُذَلِيّين» صَنْعَة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكري، ثلاثة أجزاء، حقَّقَه عبد الستار أحمد فرَّاج وراجعه محمود محمد شاكر (القاهرة، مكتبة دار العروبة ١٩٦٥م).

«أباطيل وأسمار»، الجزء الأول (القاهرة، مكتبة دار العروبة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م).

١٩٦٨م

«قرى عربية»، مجلة العرب ٢ (١٣٨٨ هـ) ٧٦٩ ـ ٧٩٧.

١٩٦٩م

«نمط صعب ونمط مخيف»، المجلة عدد ١٤٨ (إبريل/ نيسان ١٩٦٩م) ٤ ـ ١٣.

و ١٥٠ (يونية/ حزيران ١٩٦٩م) ٤ ـ ٢٠ و ١٥٣ (سبتمبر/ أيلول ١٩٦٩م).

و ١٥٤ (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٩م) و ١٥٥ (نوفمبر/ تشرين الآخر ١٩٦٩م).

* «تفسير الطبري»، الجزء السادس عشر، حقَّقه وخرَّج أحاديثه محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٦٩ ـ تراث الإسلام).

١٩٧٠م

* «كتاب الوحشيات ـ وهو الحَمَاسة الصغرى» لأبي تمَّام حبيب بن أوس الطائي، علَّق عليه وحقَّقه عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٧٠م ـ ذخائر العرب ٣٣، الطبعة الثانية).

«نمط صعب ونمط مخيف»، المجلة ١٥٩ (مارس/ آذار ١٩٧٠م) ٤ ـ ١٥ و ١٦١ (مايو/ أيار ١٩٧٠م) ٤ ـ ٢٣.

١٩٧٢م

** «أباطيل وأسمار»، الجزءان الأول والثاني (القاهرة، مطبعة المدني ١٩٧٢م).

● «القوس العذراء»، الطبعة الثانية (القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م).

«تصدير كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم» للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، الجزء الأول (القاهرة، مطبعة السعادة ١٩٧٢م) صفحة ج ـ ز.

١٩٧٤م

* «طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلّام الجُمَحِيّ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر (القاهرة ١٩٧٤ م).

[علي جواد الطاهر: «طبقات الشعراء.... مخطوطاً ومطبوعاً»، مجلة المورد ٨ (١٩٧٩م) وردّ الأستاذ عليه بكتاب «برنامج طبقات فحول الشعراء» ١٩٨٠ م].

«في الطريق إلى حضارتنا»، الثقافة ١٠ (يولية/ تموز ١٩٧٤م) ٤ ـ ١٠.

١٩٧٥م

«كانت الجامعة هي طه حسين»، الكاتب ١٦٨ (مارس/ آذار ١٩٧٥م) ٢٨ ـ ٣٥.

«مواقف»، الكاتب ١٧٠ (مايو/ أيار ١٩٧٥م) ٢٢ ـ ٣٦.

** «قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام» نشر في مجلة العرب، عام ١٩٧٥م. وهو نص محاضرة ألقيت في جامعة محمد بن سعود الإسلامية في العام نفسه.

وأعيد طبعه عام ١٩٩٧م في مطبعة المدني بالقاهرة.

منشور في
صيف في مجلة العرب للجاسر

١٩٧٦م

«مع الشيطان الأخرس»، الأهرام عدد ١٢ مارس/ آذار ١٩٧٦م.

١٩٧٧م

** «المُتَنَبِّي»، السفران الأول والثاني (الطبعة الثانية)، القاهرة ١٩٧٧م.

[عبد العزيز الدسوقي: «المتنبي بين محمود شاكر وطه حسين»، الثقافة ٥٢ (يناير/ كانون الآخر ١٩٧٨م) ٦٥ ـ ٧١ و ٥٣ (فبراير/ شباط ١٩٧٨م) ٥٥ ـ ٦١، «قضية التذوق الفني بين شاكر وطه حسين»، الثقافة ٥٤ (مارس/ آذار ١٩٧٨م) ٥٠ ـ ٥٤، «المتنبي بين محمود شاكر وطه حسين» الثقافة ٥٧ (يونيو/ حزيران ١٩٧٨م) ٢٨ ـ ٣٠ ورد الأستاذ محمود شاكر: «المتنبي ليتني ما عرفته»، الثقافة ٦٠ (سبتمبر/ أيلول ١٩٧٨م) ٤ ـ ١٩ و ٦١ (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٨) ٤ ـ ١٨ و ٦٣ (ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٨م) ٤ ـ ١٧].

١٩٧٨م

«المتنبي ليتني ما عرفته»، الثقافة ٦٠ (سبتمبر/ أيلول ١٩٧٨م) ٤ ـ ١٩ و ٦١ (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٨م) ٤ ـ ١٨ و ٦٣ (ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٨م) ٤ ـ ١٧.

١٩٨٠م

«برنامج طبقات فحول الشعراء»، القاهرة ـ مطبعة المدني ١٩٨٠م.

١٩٨٢م

«المستشرقون وقضية الشعر»، الأهرام عدد ٣٠ أبريل/ نيسان ١٩٨٢م.

«اللغة ليست علماً، جزء صغير... من الحقيقة المفزعة»، الهلال (مايو/ أيار ١٩٨٢م) ٢٤ ـ ٣١.

«الفقيه الجليل ورموز التكنولوجيا»، الهلال (يونية/ حزيران ١٩٨٢م) ٥٠ ـ ٥٥.

«فساد حياتنا الأدبية بين السخف والخطأ والتضليل»، العربي (يولية/ تموز ١٩٨٢م) ١٨ ـ ٢٤.

* «تَهْذِيبُ الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ، قرأه وخرَّج أحاديثه أبو فِهْر محمود محمد شاكر. مسند عليّ بن أبي طالب (٤)، مسند عبد الله بن عبَّاس (٥) السفر الأول ـ (منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م).

١٩٨٣

* «تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، قرأه وخرّج أحاديثه «٦ مجلدات» (منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣م.

١٩٨٤

* «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه (مكتبة الخانجي ١٩٨٤م) الطبعة الأولى.

١٩٨٦م

«من التحقيقات اللغوية»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٥٩ (ربيع الأول ١٤٠٧ هـ = نوفمبر/ تشرين الآخر ١٩٨٦م) ٢٤ ـ ٢٦.

«رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» صدرت لأول مرة كمقدمة لكتابه «المتنبي» نشره الخانجي ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م، الصفحات [٣ ـ ١٥٠].

ثم نشرت بعد ذلك عدة نشرات منفصلة.

نشرتها مجلة الهلال في سلسلة «كتاب الهلال» الشهري مرتين:

الأولى: ١٩٨٧م.

الثانية: سبتمبر ١٩٩١م.

وأخيراً نشرتها مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٩٣م.

* * *

١٩٩١م

* «أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه (مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ = ١٩٩١م).

● وكان بين يدي الشيخ عدة مؤلفات لم يتمها، منها:

ـ مداخل إعجاز القرآن.

ـ كتاب الشعر.

● كما إنه توجد للشيخ أشعار مخطوطة لم تُنْشَر في دورية أو كتاب، من تلك الأشعار قصيدة «لا تَعُودي» وهي طويلة جداً، وقصيدة «اعصفي يا رياح»، وقصيدة بعنوان «وَعْد» وغيرها.

* * *

الرافِعي

للأستاذ محمود محمد شاكر

رَحْمةُ ٱللّهِ عَلَيْكَ! رَحْمَةُ ٱللّهِ عَلَيْكَ!

رَحْمَة اللّهِ لِقَلْبٍ حَزِينٍ، وَكَبِدٍ مَصْدُوعَةٍ!.

❊ ❊ ❊

لَمْ أَفْقِدْكَ أَيُّها الحبيبُ، وَلَكِنِّي فَقَدْتُ قَلْبي.

كُنتَ لي أَمَلاً أَسْتَمْسِكُ به كُلَّما تَقطَّعَتْ آمالي في الحياةِ.

كُنتَ راحَةَ قَلْبِي كُلَّما ٱضْطَرَبَ القَلْبُ في العَناءِ.

كُنْتَ اليَنْبُوعَ الرَّوِيَّ كُلَّما ظَمِىءَ القَلْبُ وَأَحْرَقَهُ الصَّدَىٰ.

كُنْتَ فَجْراً يَتَبَلَّجُ نُورُهُ في قَلْبي وَتَتَنَفَّسَ نَسماتِهِ، فَوَجَدْتُ قَلْبي.. إذ وَجَدْتُ عَلاقَتِي بكَ.

(❊) نشرت هذه الكلمة في «الرسالة» العدد: ٢٠٢، ٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٦هـ = ١٧ مايو/أيار سنة ١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحة: ٨٢١.

لَمْ أَفْقِدْكَ أَيُّها الحبيبُ، وَلَكِنِّي فَقَدْتُ قَلْبي.

* * *

جَزَعِي عَلَيْك يُمْسِكُ لِساني أَنْ يَقُولَ، وَيُرْسِلُ دَمْعِي لِيَتَكلَّمَ. وَالأَحزانُ تَجِدُ الدَّمْعَ الَّذِي تَذُوبُ فِيهِ لِتَهُونَ وَتَضَّاءَلَ، وَلَكِنَّ أَحْزانِي عَلَيْكَ تَجِدُ الدَّمْعَ تَرْوَىٰ مِنْهُ لِتَنْمُو وَتَنْتَشِرَ.

لَيْسَ في قَلْبِي مَكَانٌ لَمْ يَرِفَّ عَلَيْهِ حُبِّي لَكَ وَهَوَايَ فِيكَ، فَلَيْسَ في القَلْبِ مكانٌ لم يحرقْهُ حُزْني فيك وَجَزَعي عَلَيْكَ.

هَذِهِ دُموعي تُتَرجِمُ عَنْ أحزانِ قَلْبي،
ولكنَّها دموعٌ لا تُحْسِنُ تَتَكَلّم.

* * *

عِشْتُ بنَفْسٍ مُجْدِبَةٍ قد ٱنصرَفَ عنها الخِصْبُ، ثُم رَحِمَ الله نَفْسِي بزَهْرَتَيْن تَرِفَّان نَضْرَةً ورِواء.

كُنْتُ أجدُ في أنْفاسهما ثروةَ الروضَةِ المُمْرِعَةِ فلا أُحِسُّ فَقْر الجَدْبِ!.

أَمَّا إحداهُما فقد قَطَفَتْها حقيقةُ الحياةِ،
وأما الأخرى فانتزعتها حقيقَةُ المَوْتِ،
وبقيتْ نَفْسي مجدبةً تَسْتَشعِرُ ذلَّ الفَقْرِ.

* * *

تَحْتَ الثَّرَىٰ.. عَلَيْكَ رحمةُ ٱللّٰهِ التي وَسِعتْ كُلَّ شَيْءٍ،
وَفَوقَ الثَّرَىٰ... عليَّ أَحزانُ قَلْبي التي ضاقَتْ بِكُلِّ شَيءٍ؛
تحتَ الثَّرَىٰ تَتَجَدَّدُ عَلَيْكَ أفراحُ الجنّة؛
وفوقَ الثَّرَىٰ تتقادَمُ عَليَّ أحزانُ الأَرْضِ!.
تحتَ الثَّرَىٰ تَتراءَى لرُوحِكَ كُلُّ حقائِقِ الخلودِ.
وفوقَ الثَّرَىٰ تَتَحقَّقُ في قَلْبي كُلُّ معاني المَوْتِ.
لَمْ أَفْقِدْكَ أيها الحبيب ولكنّي فقدت قَلْبي.

* * *

حَضَرَ أَجَلُكَ، فَحَضَرَتْني هُمومي وآلامِي.
فَبَيْنَ ضُلوعي مَأْتَمٌ قدِ ٱجْتَمعت فيه أحزاني للبُكاءِ؛
وفي رُوحي جنَازَةٌ قَدْ تهَيَّأَتْ لِتَسيرَ؛
وَعَواطِفي تُشَيِّعُ المَيْتَ الحبيبَ مُطرِقَةً صامِتَةً؛
والجنازَةُ كُلُّها في دَمي - في طَريقِها إلىٰ القَبْرِ.
وَفي القَلْبِ... في القَلْبِ تُحْفَرُ الْقُبُورُ العزيزَةُ الّتي لا تُنْسَىٰ.

* * *

في القَلْبِ يَجِدُ الحبيبُ رُوحَ الحياةِ وقد فَرَغَ من الحياةِ.
وَتَجِدُ الرُّوحُ أحْبابَها وقد نَأَىٰ جُثْمَانُها.

في قَلْبي تَجِدُ الملائِكَةُ مكاناً طهَّرَتْهُ الأحزانُ من رِجْسِ اللَّذَّاتِ.

وتجِدُ أجْنِحَتُها الرّوحَ الّذِي تُهَفْهِفُ عَلَيْه وَتَتَحَفَّىٰ بِهِ.

هنا... في القَلْبِ، تَتَنَزَّلُ رَحْمةُ اللّهِ على أَحْبابي وَأَحْزاني.

فَفَي القَلْبِ تَعيشُ الأَرْواحُ الحَبِيبَةُ الخالِدَةُ الّتي لا تَفْنىٰ.

وَفي القَلْبِ تُحْفَرُ القُبورُ العَزِيزَةُ التي لا تُنْسَىٰ.

* * *

لَمْ تَبْقِ لي بَعدَكَ أَيُّها الحبيبُ إلا الشَّوقَ إلىٰ لِقائِك.

فَقَدْتُكَ وَحْدِي إذْ فَقَدَكَ النَّاسُ جميعاً.

سَمَا بكَ فَرَحُكَ بِاللّهِ، وَقَعَدَتْ بي أحزاني عَلَيْكَ.

لقد وَجَدْتَ الأُنْسَ في جوارِ رَبِّكَ، فَوَجَدْتُ الوَحْشَةَ في جوار النَّاسِ.

لَمْ أَفْقِدْكَ أَيَّها الحبيبُ، وَلَكِنِّي فَقَدْتُ قَلْبي.

لَمْ تُبقِ لي بَعدَكَ إلا الشَّوقَ إلى لِقائِكَ.

رَحْمَةَ الله عَلَيْكَ، رَحْمَةُ اللّهِ عَلَيْكَ!.

محمود محمد شاكر

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِيَّـاهُ أَسْتَعِينُ

فاتحة الكتاب(١)

محمود محمد شاكر

إِنْ كُنْتَ لَسْتَ مَعِي، فَالذِّكْرُ مِنْكَ مَعي
يَرَاكَ قَلْبي وَإِنْ غُيِّبْتَ عَنْ بَصَرِي
اَلْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَىٰ وَتَفْقِدُهُ
وَنَاظِرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ

رَحِمَك اللّهُ «أَبا السَّامي»(٢) وَرَضِيَ عَنْكَ، وَغَفَرَ لَكَ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ، وجَزَاكَ خَيراً عَنْ جِهادِكَ ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [٥٧ سورة الحديد: الآية: ١٢].

---

(١) هذه هي فاتحة كتاب «حياة الرافعي» لمحمد سعيد العريان رحمه الله.

(٢) كذلك كانت كُنْيَتُهُ. واسْمُ ٱبْنِه البكر: محمود سامي الرافعي، وإنَّما سَمَّاهُ كذلك تشبيهاً له باسْمِ الشاعر محمود سامي البارُودي، وإلَيْه كان ينظر في صَدْرِ أيَّامِهِ.

كَتَبَ «سَعِيدٌ» ـ لا أَخْلَىٰ اللّٰهُ مكانَهُ وَخُطِّيءَ عَنْهُ السُّوءُ ـ هَذا الكِتَابَ الَّذِي يَسْعَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ، يَرُدُّ بِهِ إِلىٰ الحَياةِ حَياةً ٱسْتَدْبرتِ الدُّنيا وَأَقْبَلَتْ عَلىٰ الآخِرَةِ بِمَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ؛ وَثَمَّ المِيزَانُ الّذِي لا يُخْطِىءُ، وَالنَّاقِدُ الّذِي لا يَجُوزُ عليه الزَّيْفُ، وَالحاكِمُ الّذِي لا يَقْدَحُ في عَدْلِهِ ظُلْمٌ وَلا جَوْرٌ، وَالْبَصِيرُ الَّذِي يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدورُ، قَدِ ٱسْتَوَتْ عِنْدَهُ دُجُنَّةُ السِّرِّ وَنهارُ العَلانِيَّةِ. وقَدْ فَرَغَ الرَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ ـ مِنْ أَمْرِ الناس إلى خاصَّةِ نَفْسِهِ، ولكنَّ النَّاسَ لا يَفْرغونَ مِنْ أَمْرِ مَوْتَاهُمْ، وَلَوْ فَرَغُوا لكَانَ التَّارِيخُ أَكْفاناً تُطوَىٰ عَلىٰ الرِّمَمِ، لا أَثْواباً تُلْقَى علىٰ المَيْتِ لِتَنْشُرَهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ حَدِيثاً يُؤْثَرُ وَخَبَراً يُرْوَىٰ وَعَمَلاً يُتَمَثَّلُ، وَكَأَنْ قَدْ كانَ بَعْدُ إِذْ لَمْ يَكُنْ.

وَهَذا كِتابٌ يُقَدِّمُهُ «سَعِيدٌ» إلى العَرَبِيّة وَقُرَّائِها، يَجْعَلُه كَالمُقَدَّمَةِ الَّتي لا بُدَّ مِنْها لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَعْرِفَ أَمْرَ الرَّافِعِيِّ مِنْ قَريبٍ.

لقد عاشَ الرَّافِعِيُّ دَهْراً يَتَصَرَّفُ فيما يَتَصَرَّفُ فِيهِ النَّاسُ عَلىٰ عادَاتِهِم، وَتُصَرِّفُه أَعمالُ الحَياةِ على نَهْجِها الّذِي ٱقْتَسَرَتْهُ عَلَيْهِ أَوْ مَهَّدَتْهُ لَهُ أَوْ وَطَّأَتْ به لِتَكْوِينِ المِزَاجِ الأَدَبِيِّ الّذِي لا يَعْدَمُهُ حَيٌّ ولا يَخْلُو مِنْ مَسِّهِ بَشَرٌ.

وَأَنا ـ مِمّا عَرَفْتُ الرّافعي رحمه الله وَدَنَوْتُ إِلَيْه وَوَصَلْتُ

سَبَباً مِنّي بأسْبابٍ مِنْهُ ـ أَشْهَدُ لِهذا الكتابِ بِأَنَّهُ قَدِ ٱسْتَقْصَىٰ مِنْ أَخْبارِ الرَّافِعِي كَثِيراً إلى قَليلٍ مِمَّا عُرِف عَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ فَرَطَ مِنْ شُيُوخِنا وَكُتَّابِنا وَأُدبائِنا وَشُعَرائِنا؛ وَتِلْكَ يَدٌ لِسَعيدٍ علىٰ الأَدَبِ العَرَبيّ، وَهِيَ أُخْرَىٰ عَلَى التَّاريخ؛ ولَوْ قَدْ يَسَّرَ ٱللّهُ لِكُلِّ شاعِرٍ أَوْ كاتِبٍ أو عالِمٍ صَدِيقاً وَفِيًّا يَنْقُلُهُ إلى النَّاس أحاديثَ وَأَخْباراً وأَعمالاً كَما يسَّرَ اللّهُ للرّافِعي، لما أَضَلَّتِ العربِيَّةُ مَجْدَ أُدبائِها وَعُلَمائِها، ولمَّا تَفَلَّتَ مِنْ أَدَبِها عِلْمُ أَسْرارِ الأَساليبِ وَعِلْمُ وُجوهِ المَعاني التي تَعْتَلِجُ في النُّفوسِ وَترْتَكِضُ في القُلوبِ حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لها أَنْ تَكُونَ أَدَباً يُصْطَفَىٰ وَعِلماً يُتوارَثُ وَفَنّاً يَتَبَلَّجُ على سَوادِ الحياةِ فَتُسْفِرُ عَنْ مَكْنُونِها مُتَكَشِّفَةً بارِزَةً تَتَأَنَّقُ لِلنَّفْسِ حَتّىٰ تَسْتَوي بِمَعانِيها وأَسْرَارِها علىٰ أَسْبابِ الفَرَجِ وَدَواعِي السُّرُورِ وَما قَبْلُ وَمَا بَعْدُ.

وَالتَّارِيخُ ضَرْبان يَترادَفان علىٰ مَعْناهُ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ: فَأَوَّلُهُ رِوَايَةُ الخَبَرِ وَالقِصَّةِ وَالعَمَلِ، وَما كانَ كَيْفَ كانَ وَإِلىٰ أَيْنَ ٱنْتَهَىٰ؛ وَهَذَا هُوَ الَّذِي ٱنْتَهَىٰ إِلَيْنا مِنْ عِلْمِ ٱلتَّارِيخِ العَرَبيِّ في جُمْلَتِهِ؛ وَعَمودُ هَذا البابِ صِدْقُ الحَدِيثِ، وَطُولُ التَّحَرِّي وَالاسْتِقْصاءِ وَالتَّتَبُّعِ، وَتَسَقُّطِ الأَخْبارِ مِنْ مَوَاقِعِها، وَتَوَخّي الحقيقة في الطَّلبِ حَتَّى لا يَخْتَلِطُ باطلٌ بِحَقٍّ. وَأَمّا التَّارِيخُ الثّاني فَإِيجادُ حَياةٍ قَدْ خَرَجَتْ من الحياةِ، وَرَدُّ مَيْتٍ مِنْ قَبْرٍ

مُغْلَقٍ إلى كتابٍ مَفْتُوح، وَضَمٌّ مُتَفَرِّقٍ يَتَبَعْثَرُ في الأَلْسِنَةِ حَتّى يَتَمَثَّلَ صُورَةً تَلُوحُ لِلْمُتَأَمِّلِ، وَهَذا الثَّانِي هُوَ الّذِي عَلَيْهِ العَمَلُ في الإِدْراكِ البَيانِي لِحقائِقِ الشُّعراء والكُتّاب ومَنْ إِلَيْهم؛ وَمَعَ ذَلِكَ فهو لا يَكادُ يكونُ شَيْئاً إِلّا بالأَوّلِ، وَإِلّا بَقِي ٱجْتِهاداً مَحْضاً تموتُ الحقائِقُ فِيهِ أَوْ تحيا على قَدْرِ حَظِّ المُؤَرِّخِ والنّاقِدِ مِنْ حُسْنِ النَّظَرِ ونَفاذِ البَصِيرَةِ، ومَسَاغِهِ في أَسْرارِ البَيانِ مُتَوَجِّهاً معَ الدَّلالَةِ مُقْبِلاً مُدْبِراً، مُتَوَقِّياً عَثْرةً تَكُبُّهُ عَلىٰ وَجْهِهِ، مُتابِعاً مَدْرَجَةَ الطّبائع الإِنْسانِيّةِ ـ على تَبايُنِها وَٱخْتِلافِها ـ حَتّىٰ يُشْرِفَ علىٰ حَيْثُ يَمْلِكُ البَصَرَ وَالتَّمْييزَ وَرُؤْيَةَ الخَافِي وَتَوَهُّمَ البَعِيدِ، وَيَكُونُ عَمَلُ المُؤَرِّخِ يَوْمَئِذٍ نَكْسَةً يَعُودُ بِها إلىٰ تَوَهُّمِ أَخْبارٍ كانَتْ وَأَحداثٍ يَخالُها وَقَعَتْ، وَيَجْهَدُ في ذَلِكَ جُهْداً لَقَد غُنِيَ عَنْهُ لَوْ قَدْ تَساوَقَتْ إِلَيْهِ أَخْبارُ حَياةِ الشّاعِرِ أَوِ الكاتِبِ وَٱجْتَمَعَتْ لَدَيْهِ وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ كما كانَتْ أَوْ كما شَاهَدَها مَنْ صَحِبَهُ وَٱتَّصَلَ بِهِ وَنَفَذَ إِلىٰ بِعْضِ ما يَنْفُذُ إِلَيْهِ الإنسانُ مِنْ حالِ أَخِيهِ الإِنسان.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَكْثَرَ ما نَعْرِفُهُ من أدبٍ وشِعْرٍ في عُصورِ الانْدِحارِ التي مُنِيَتْ بها العربِيَّةُ يكادُ يكونُ تَلفِيقاً ظاهِراً على البيانِ وَالتَّاريخِ معاً، حَتَّى ليضلَّ النّاقِدُ ضلالَ السّالِكِ في نَفَقٍ مُمْتَدٍ قدْ ذَهَبَ شِعاباً مُتعانِقةً مُتَنافِرَةً في جَوْفِ الأَرْضِ؛ ثُمَّ جاءَ

العَصْرُ الّذِي نَحْنُ فيه فَأَبْطَلَتْ عامِّيَّتُه البَيانَ في الأَدبِ وَالشِّعْرِ من ناحيةٍ، وَدَلَّسَهُما ما أُغْرِيَ به الكَثْرَةُ مِنِ ٱستعارَةِ العاطِفَةِ وَاقْتراضِ الإحساسِ من ناحيةٍ أُخْرى؛ فإنِّي لأَقْرَأُ للكاتِبِ أَوِ الشاعِرِ وأَتَدبَّرُ وأترفّقُ وأَتَرَقّىٰ.. وإذا هو عَيْبَةٌ مُمْتَلِئَةٌ قد أُشْرِجَتْ على المعاني وَالعواطِفِ، فلو قُطِعَ الخَيْطُ الذي يَشُدُّها لانقطعتْ كُلُّ شارِدةٍ نافرةً إلى وَطَنِها هاربةً تَشْتَدُّ؛ وَبِمِثْلِ هذا يخوضُ المُؤَرِّخُ في رَدَغَةٍ مسْتَوْحِلَةٍ يَتَزَلَّقُ فيها هَهُنا وَثَمَّ، وَيَتَقَطَّعُ في الرَّأْيِ وَتَتهالَكُ الحقائقُ بين يَدَيْهِ حتى يَصِيرَ الشاعِرُ وشِعْرُهُ والأَدِيبُ وأَدَبُهُ أَسْمالاً مُتَخَرِّقةً بالِيةً يَمْسَحُ بِها المؤرِّخُ عن نَفْسِهِ آثارَ ما وَحِل فيهِ!.

وَقَدِ ٱبْتُلِيَ الأدبُ العربيُّ في هذا العصر بهؤلاء الذين أَوْجَفَتْ بهم مَطايا الغُرورِ في طَلَبِ الشُّهْرَةِ وَالصِّيتِ وَالسَّماعِ، فَخَبَطُوا وَتَوَرَّطُوا ظَلماءَ سالِكُها مَغْتَرٌّ، وقد كانَ احْتِباسُهُم وإمْساكُهُم عَمَّا نَصَبُوا وُجوهَهُم لَهُ، واصْطِبارُهُم على ذلِّ الطَّلَبِ، وَمُمارَسَتُهُم مَعْضِلَ ما أَرادُوْه، وَتأَنِّيهِمْ في النِّيَّةِ وَالبَصَرِ وَالعَزْمِ عسى أَنْ يَحْمِلَهُم على اسْتِثارَةِ ما رَكِبَهُ الإِهمالُ مِنَ العَواطِفِ التي تَعْمَلُ وَحْدها إذا تَنَسَّمَتْ رُوحَ الحياةِ، وَاسْتِنْباطَ النّبْعِ القَدِيمِ الّذِي وَرِثَتْهُ الإِنسانيَّةُ مِنْ حياتِها الطَّبِيعِيَّةِ الأُولَى ثُمَّ طَمَتْ عَلَيْهِ أَدْرانُ المَدَنِيّاتِ المُتَعاقِبَةِ.

وَالشِّعْرُ وَالأَدَب كلاهما عاطِفَةٌ وَإِحْسَاسٌ يَنْبعانِ مِنْ أَصْلِ القَلْبِ الإنسانيِّ؛ هذا القَلْبُ الّذِي أُثْبِتَ مِنْ داخِلٍ بَيْنَ الحَنايا وَالضّلوعِ لِيَكُونَ أَصْفَىٰ شَيْءٍ وَأَطْهَرَ شَيْءٍ وَأَخْفَىٰ شَيْءٍ، وَلِيمسّ كُلَّ عَمَلٍ من قَرِيبٍ لِيُصَفِّيه وَيُطَهِّرُهُ وَيُسْدِلَ عَلَيْهِ من رُوحِهِ شَفًّا رَقِيقاً لا يَسْتر بل يَصِفَ ما وراءَهُ صِفَةً باقِيَةً بَقَاء الرُّوح، وَيُبَرِّئها من دَنسِ الوَحْشيّةِ التي تَطْوِيها في كَفَنٍ من بضائع المَوْتى؛ فأَيُّما شاعِرٍ أو أدِيبٍ قالَ فإنّما بِقَلْبِهِ وجَبَ أن يقولَ ومِنْ داخِلِه كُتِبَ عليه أن يَتَكَلَّم، وإنَّما اللسانَ آلَةٌ تَنقل ما في داخلٍ إلى خارجٍ حَسْب؛ فإنّ كَلَّفها أحَدٌ أَنْ تَنْقلَ على غَيْرِ طبيعَتِها في الأداء - وهي الصِّلةُ التي انعقدَتْ بينها وبين القَلْبِ على هذا القانون - فقد أَوْقع الخَلَلَ فيها ووَقَعَ الفسادُ والتخالفُ والإحالةُ وَالبطلان فيما تُؤَدِّيه أو تَنْقُلُهُ.

وقد نَشَأ الرَّافعيُّ من أَوّلِيَّتِهِ أَديباً يريد أَنْ يُشْعِرَ ويكْتُبَ ويتأدّبَ، وسَلَخَ شبابَهُ يَعْمل حتى أمْكَنَتْهُ اللغةُ من قيادِها وألْقَتْ إليه بأَسْرارها، فكانَ عالماً في العربية يقولُ الشِّعْرَ، ولو وَقَفَ الرافِعِيُّ عِنْدَ ذلك لَدَرَجَ فيمَنْ دَرَجَ مِنَ الشّعراءِ والكُتّابِ والعُلماء الذين عاصَروهُ، ولو أَنّهُ اسْتَنامَ إلى بَعْضِ الصِّيتِ الذي أدْرَكَهُ وحازَهُ واحْتَمَلَهُ في أمْرِهِ الغرور لَخَفَّ من بَعْدُ في ميزان الأدب حتى يَرْجَحَ به مِن بعدُ مَنْ عَسَىٰ أن يكون أخفَّ منه؛

ولكنّ الرافعِيَّ خَرَجَ من هذه الفِتَنِ ـ التي لَفَّتْ كثرةَ الشعراء والأدباء وٱلْتَقَمَتْهُم فمَضَغَتْهُم فطَحَنَتْهُم ثم لَفَظَتْهُم ـ وقد وَجَدَ نَفَسَهُ وٱهْتَدَى إِلَيْها، وعَرَفَ حقيقةَ أَدَبِهِ وما يَنْبَغِي له وما يجبُ عليه، فَأَمَرَّ ما أفادَ من عِلْمٍ وأدبٍ على قَلْبِهِ ليؤدِّي عَنه، وَبرىء أَنْ يكونَ كبعضِ مشاهيرِ الكتّاب والشعراء ممن يُطيحُ بالقَوْلِ من أَعْلىٰ رَأْسِهِ إلى أَسْفَلِ القِرْطاسِ وللقارىء من قَنابلِهِ بعد ذلك ما يَتَشظَّى في وجْهِهِ وما يَتَطايَرُ؛ لهذا كانَ الرافِعِيُّ من الكتّابِ والأُدَباءِ والشعراءِ الَّذِينَ تُتَّخَذُ حياتُهم ميزاناً لأعْمالِهِم وآثارِهم؛ وَلِذَلِكَ كان كتابُ «سعيد» عن حياتِهِ من الجلالةِ بالمَوْضِعِ الّذي يَسْمُو إِلَيْهِ كُلُّ مُبْصِرِ، ومن الضَّرُورَةِ بالمكانِ الذي يَلْجأ إليه كلُّ طالِبٍ.

عَرَفْتُ الرافعيَّ معْرِفَةَ الرأْي أَوّلَ ما عَرَفْتُهُ، ثم عَرَفْتُهُ مَعْرِفَةَ الصُّحْبة فيما بَعْدُ، وعَرَضتَ هَذا على ذاكَ فيما بَيْني وبين نَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ إِلاّ خَيْراً مما كُنْتُ أَرَىٰ، وَتَبَدَّتْ لي إنسانيةُ هذا الرَّجُلِ كأَنَّها نَغْمَةٌ تُجاوِبُ أُخْتَها في ذلك الأديبِ الكاتِبِ الشّاعِرِ، وَظفرتُ بِحَبيبٍ يُحبُّني وأُحِبُّه، لأنَّ القَلْبَ هو الَّذي كان يَعْمَلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وكانَ في أَدَبِهِ مسُّ هذا القَلْب؛ فَمِنْ هُنا كُنْتُ أَتَلَقَّى كلامَهُ فأَفْهَمُ عَنْه ما يكادَ يَخْفَى على مَنْ هُوَ أَمْثَلُ مِنِّي بالأَدَبِ وَأَقْوَمُ على العِلْمِ وأَبصَرُ بمواضِعِ الرَّأْيِ.

وامتيازُ الرّافِعِيِّ بِقَلْبِهِ هو سِرُّ البيانِ فيما تداوَلَهُ من معاني الشِّعْرِ والأدبِ؛ وهُوَ سِرُّ حفاوَتِهِ بالخواطِرِ ومذاهِب الآراءِ، وسِرُّ إحْسانِهِ في مِهْنَتِها وتَدْبيرِها وسِيَاسَتِها كما يُحْسِنُ أَحَدُهُم مِهْنَةَ المالِ وَرَبَّهُ والقيامَ عليه؛ وهو سِرُّ عُلُوِّه على من يَنْخَشُّ في الأدب كالعَظْمَةِ الجاسِيَةِ تَنْشبُ في حَلْقِ مُتعاطِيهِ، لا يُبقي عليه من هوادَةٍ ولا رِفْقٍ، وبخاصَّةٍ حين يكونُ هذا النَاشِبُ مِمَّنْ تَسامىٰ على حِينِ غَفْلَةٍ يوم مَرِجَ أَمْرُ النَّاسِ وَاخْتَلَطَ، أو كان مُرَهَّقاً في إيمانِهِ مُتَّهَماً في دِينِهِ؛ إذْ كانَ الإيمانُ في قَلَبِ الرافعي دَماً يَجْرِي في دَمِهِ، ونُوراً يُضِيءُ له في مجاهِلِ الفِكْرِ والعاطِفَةِ وَيُسَنِّي له ما أَعْسَرَ إذا تعانَدَتِ الآراء واخْتَلَفَتْ وتعارَضَتْ وَأَكْذَبَ بَعْضُها بعْضاً.

هَذَا، وقد أَرْخَيْتُ لِلْقَوْلِ حَتَّىٰ بَلَغَ، وكنتُ حَقِيقاً أن أَغُورَ إلى سِرِّ البيانِ واعتلاقِهِ مِنَ العاطِفةِ وَالهَوَى في قَوْلِ الشّاعِرِ والكاتِبِ وَالأدِيبِ لأُسَدِّدَ الرّأْيِ إلى مَرْماه، وقد يَطولُ ذلك حَتّى لا تَكْفي له فاتِحَةُ كتابٍ أَوْ كتابٌ مُفْرَدٌ؛ فإنَّ البيانَ هو سِرُّ النَّفْسِ الشاعِرَةِ مكفوفاً وراءَ لَفْظٍ، وما كان ذلك سبيلَهُ لا يَتَأَتّى إلا بالتَّفْصِيلِ والتَّمييزِ والشَّرْحِ، ولا تُغْني فيه جملَةُ القَوْلِ شيئاً من غَناءٍ. وَحَقِيقٌ بِمَنْ يَقْرَأُ هذا الكتابَ أَنْ يعودَ إلى كُتُبِ الرَّافعي بالمُراجَعَةِ فَيَسْتَنْبِئها التفصيلَ وَالشَّرْحَ، وبذلك يَقَعُ على

مـادَّةٍ تَـمُـدُّه فـي دِراسَـةِ فـنـونِ الأُسْـلـوبِ، وَكَـيْـفَ يَـتَـوَجَّـهُ بِـفَـنٍّ الكاتِبِ، وكَيْفَ يَتَصَرَّفُ فيه الكاتِبُ بِحِسٍّ من قَلْبِهِ لا يُخْطِىءُ أَنْ يَجْعَلَ المعنى واللّفْظَ سابِقَيْن إلى غَرَضٍ متواطِئَيْن على معنى لا يَجُوران فَيُجاوِزانِهِ أَوْ يَقعان دُونَهُ.

رَحْمةُ اللّهِ عَلَيْه، لقد شارَكَ الأَوائِلَ عُقولَهُم بفِكْرِهِ، ونَزَعَ إليهم بِحَنِينِهِ، وَفَلَجَ أَهْلَ عَصْرِهِ بالبيانِ حينَ ٱسْتَعْجَمَتْ قلوبُهَم وارْتَضَخَتْ عَرَبِيَّتُهُمْ لُكْنَةً غَيْرَ عربيَّةٍ، ثُمَّ صَارَ إلى أَنْ أَصْبَحَ ميراثاً نَتوارَثُهُ، وَأَدَباً نَتدارَسُهُ، وَحَناناً نَأْوِي إِلَيْهِ.

رحمةُ ٱللّهِ عَلَيْهِ!.

محمود محمد شاكر

* * *

قائمة بمؤلفات الرافعي

حسب تاريخ إنشائها كما وردت في كتاب «حياة الرافعي» لمحمد سعيد العُرْيان مع بعض إضافات:

- **«ديوان الرافعي»** ثلاثة أجزاء، صدرت بين سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٦ م.

الجزء الأول: طبع في المطبعة العمومية بمصر، عام ١٣٢١هـ = ١٩٠٢م كتب عليه: نظمه مصطفى صادق الرافعي، وشرحه محمد كامل الرافعي. وهذا الشرح المنسوب إلى أخيه المرحوم محمد كامل الرافعي هو من إنشاء مصطفى صادق الرافعي نفسه. وقد جاء بخمس وأربعين ومئة صفحة من القطع الكبير. وهذا الجزء باكورة شاعريته، نظمه ما بين عامي ١٣١٩هـ و١٣٢٠هـ. وكانت مقدمته في «الشعر واجتماع أسبابه» العنوان الكبير أمام أدباء العصر ونقاده، مما غبطه عليه أئمة البيان كالشيخ محمد عبده ومحمود سامي البارودي وإبراهيم اليازجي وأحمد شوقي وغيرهم.

الجزء الثاني: طبع في مطبعة الجامعة بالإسكندرية عام ١٣٢٢هـ = ١٩٠٣م. وجاء بعشرين ومئة صفحة من القطع الكبير. قدّم له بمقدمة عنونها: «سرقة الشعر وتوارد

الخواطر» ثبّت فيها مكانته التي ارتقى إليها أدباً بمقدمة الجزء الأول، ووضع الدرجة الأولى في سُلّم النقد الأدبي الحديث مما أذهب الشكّ عن صدور ناقديه والمغتبطين به جميعاً.

الجزء الثالث: طبع في مطبعة الأخبار في الفجالة، مصر عام ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م. وجاء بخمسين ومئة صفحة من القطع الكبير. قدم له بمقدمة عنونها: «نوع من نقد الشعر».

- «**ديوان النظرات**» الجزء الأول، أنشأه بين سنتي ١٩٠٦ و١٩٠٨م، طبع في مطبعة الجريدة بمصر، عام ١٣٢٧هـ = ١٩٠٨م، في ثمان وعشرين ومئة صفحة من القطع المتوسط. قدّم له بحديث ثمين يبيّن فيه «حقيقة الشعر»، حتى حسب شبلي الشميّل هذا الموضوع مترجماً!.

- «**ملكة الإنشاء**» كتاب مدرسي يحتوي على نماذج أدبية من إنشائه، أعد أكثر موضوعاته وتهيّأ لإصداره في سنة ١٩٠٧م، ونشر منه بعض نماذج في «ديوان النظرات»، ثم صرفته شؤون ما عن تنفيذ فكرته فأغفله، وقد ضاعت أصوله فلم يبق إلا النماذج المنشورة منه في «ديوان النظرات».

- «**تاريخ آداب العرب**» صدر في طبعته الأولى عن مطبعة الجريدة، سنة ١٩١١م، في ٤٥٠ صفحة؛ بسبب من إنشاء الجامعة المصرية، ويراه أكثر الأدباء كتاب الرافعي الذي لا يعرفونه إلا به.

- **«إعجاز القرآن»** وهو الجزء الثاني من «تاريخ آداب العرب»، طبع ثلاث مرات، صدرت طبعته الأولى عام ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م، وصدرت الطبعة الثانية والثالثة في سنة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م و١٣٤٦هـ = ١٩٢٨م، على نفقة الملك فؤاد الأول، ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات في القاهرة وبيروت.

- **«حديث القمر»** أول ما أصدر الرافعي في أدب الإنشاء، وهو أسلوب رمزي في الحب تغلب عليه الصنعة، أنشأه بعد رحلته إلى لبنان في سنة ١٩١٢م حيث ألتقى لأول مرة بالآنسة الأديبة (م. ي) [هي ماري يني عطا الله]. صدر في طبعته الأولى عام ١٩١٢م عن ناشره الشيخ محمد سعيد الرافعي، المكتبة الأزهرية، في ست وسبعين ومئة صفحة.

- **«المساكين»** فصول في بعض المعاني الإسبانية ألهمه إياه بعض ما كان في مصر من أثر الحرب العالمية الأولى، أنشأه في سنة ١٩١٧م، وصدر في طبعته الأولى بمطبعة المعاهد بمصر عام ١٣٣٥هـ = ١٩١٧م، عن المكتبة الأزهرية، في ٢٦٨ صفحة من القطع المتوسط.

- **«نشيد سعد باشا زغلول»** كتيّب صغير عن نشيده: «اسلمي يا مصر!» الذي أهداه إلى المرحوم سعد زغلول في سنة ١٩٢٣م، طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة؛ وأكثر ما في الكتاب من المقالات هو من إنشاء الرافعي رحمه الله أو إملائه. صدر عام ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م، في أربع وستين صفحة.

- النشيد الوطني المصري: «إلى العلا...» ضبط ألحانه الموسيقية الموسيقار منصور عوض. نشرته المكتبة الأزهرية بمصر عام ١٩٣٩هـ = ١٩٢٠م، في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط.

- «**رسائل الأحزان**» كُتاب أنشأه في سنة ١٩٢٤م يتحدّث فيه عن شيء مما كان بينه وبين مي زيادة، على شكل رسائل يزعم أنها من صديق يبثّه ذات صدره.

- «**السحاب الأحمر**» هو الجزء الثاني من قصة حب فلانة [مي زيادة]، أو الطور الثاني من أطواره بعد القطيعة، صدر بعد «رسائل الأحزان» بأشهر.

- «**تحت راية القرآن**» هو كتاب «المعركة بين القديم والجديد»، وفيه قصة ما كان بينه وبين الدكتور طه حسين لمناسبة كتابه «في الشعر الجاهلي» صدر سنة ١٩٢٦م، عن المكتبة الأهلية بمصر، في أربعين وأربع مئة صفحة.

- «**على السفود**» قصة الرافعي والعقاد، نشرته مجلة العصور في عهد منشئها الأول الأستاذ إسماعيل مظهر، ولم تذكر اسم مؤلفه، ورمزت إليه بكلمة «إمام من أئمة الأدب العربي»؛ ديسمبر/كانون الأول، ١٩٣١م، أعيد طبعه حديثاً بدمشق، دار البشائر، ٢٠٠٠م.

- «**أوراق الورد**» الجزء الأخير من قصة حبه، يقوم على رسائل في فلسفة الجمال والحب، أنشأها ليصور حالاً من حاله فيما كان بينه وبين فلانة [مي زيادة]، ومما كان بينه وبين

صديقته الأولى صاحبة «حديث القمر» [ماري يني].

وتعد كتبه الأربعة: **«حديث القمر»** و**«رسائل الأحزان»** و**«السحاب الأحمر»** و**«أوراق الورد»** وحدة يتمم بعضها بعضاً، لأنها جميعاً تنبع من معين واحد، وترمي إلى هدف واحد، وإن اختلفت أساليبها ومذاهبها.

- **«رسالة الحج»** أنشأه في صيف سنة ١٩٣٥م، استجابة لرأي صديقه المرحوم حافظ عامر وإليه ينسب.
- **«وحي القلم»** مجموع مقالاته في الرسالة بين سنتي ١٩٣٤ و١٩٣٧م إلى مقالات أخرى، طبع منه جزآن في حياته، ثم أعيد طبعه مع الجزء الثالث أكثر من مرة بعد وفاته، في القاهرة وبيروت.
- الجزء الثالث من **«تاريخ آداب العرب»** طبع بعد وفاته، سنة ١٩٤٠م.

من الكتب التي لم تطبع:

- **«أسرار الإعجاز»**.
- **«ديوان أغاني الشعب»**
- **«تتمة ديوانه»**.

الفهرس